من الآيات الدالة على الرفق في الدعوة إلى اللّه – عز وجل –

دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي

إعداد الدكتورة

أسماء محمد محمد علي

مدرس بقسم أصول اللغة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات

القاهرة ـ جامعة الأزهر

من الآيات الدالة على الرفق في الدعوة إلى الله – عز وجل – دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي

أسماء محمد محمد علي

مدرس أصول اللغة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات – القاهرة- جامعة الأزهر- جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: asmaa.mohamed@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى حصر الظواهر اللغوية في لغة القرآن الكريم في ضوء علم اللغة النفسي، وربطها بالأصوات، والصيغ، والتراكيب، وأثر ذلك على النفس البشرية في الآيات التي جاء فيها الحث على الرفق واللين، وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي بآداتيه الإحصاء والتحليل في جمع الآيات التي ورد فيها الحث على الرفق، والمعاملة بالحسنى، وتحليلها في ضوء علم اللغة النفسي. **ومن أهم حقائق البحث:-** أن لغة القرآن الكريم لغة معجزة، ومؤثرة في النفس البشرية؛ لأنها تخاطب العقل والعاطفة معا، وهذا سبب إعجازها، ولأن هذا الكلام لا يحدث مع أي كلام آخر مهما بلغت درجة فصاحته، وبلاغته. **وأما النتائج** – فقد بيّن البحث أهمية علم اللغة النفسي؛ لأن دراسة اللغة من خلاله لها أثر بالغ في ربط الدلالة وضّح البحث أن من آليات بناء الوعي الرشيد أسلوب الترغيب الذي لا بد أن يتسلح به الداعية ؛لأنه من الأساليب المحببة إلى النفس البشرية، والمؤثرة فيه، ولا سيما الأسلوب القائم عليه البحث، وهو أسلوب الرفق واللين. كشف البحث عن الهدف الأسمى لآيات الرفق في القرآن الكريم، وهو ترغيب المسلم في القيام بما أمر به الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، وربط ذلك بخلق من أخلاق

الإسلام، وهو الرفق، وما يقوم به في بناء الوعي الرشيد. بين البحث أن البعد عن الفظاظة والغلظة في القول والفعل تحبِّب الناس في سماع كلام الحق، وعدم الإعراض عن المنادِي به مما له أثر إيجابي في نفوس المتلقين.وضّح البحث تنوع الوحدات الصرفية ما بين مصادر وصيغ، وغير ذلك، وتنوع الوحدات التركيبية بين وحدات خبرية، وإنشائية، وربط كل ذلك بمحاكاة الحالة النفسية، وتأثيرها في نفس المدعوين.

الكلمات المفتاحية: الآيات – الرفق – الدلالة – الدعوة إلى الله – علم اللغة النفسي.

Verses Indicating Gentleness in Calling to Almighty Allah An Analytical Study in Light of Psycholinguistics

Asmaa Muhammad Muhammad Ali.

Department of Language Fundamentals, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Female Students, Al-Azhar University, Cairo, Egypt

Email: asmaa.mohamed@azhar.edu.eg

Abstract:

This study aims to identify the linguistic phenomena in the language of the Qur'an, linking them to sounds, forms, and structures, and examining their impact on the human psyche in the verses that encourage gentleness and kindness. The research relies on a descriptive methodology using statistical and analytical tools to collect and analyze the verses that advocate gentleness and good treatment in light of psycholinguistics. One of the key findings of the research is that the language of the Qur'an is miraculous and impactful on the human soul because it addresses both the intellect and emotions– a characteristic that cannot be found in any other speech. Regarding the results, the study highlights the importance of psycholinguistics, as studying language through it has a profound effect on establishing meaning. The research clarifies that one of the mechanisms for building sound awareness is the method of encouragement, which a caller to Islam must employ, as it is an approach appealing and influential to human nature. The study reveals the ultimate goal of the verses on gentleness in the Qur'an, which is to encourage Muslims to

fulfill the commands of Allah and His Messenger (pbuh) and to link this with one of the virtues of Islam – gentleness - and its role in building sound awareness.

Keywords: Qur'anic verses - gentleness – meaning – calling to Allah - psycholinguistics

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين دعانا إلى الرفق واللين بدعوة خاتم المرسلين، وأسبغ علينا النعم وأتم لنا الدين، والصلاة والسلام على النبي الأمين وآله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فالقرآن الكريم معين لا ينضب، وإعجازه لا ينفد، فهو مورد عذب لكل باحث لغوي باعتباره المصدر الأول للتشريع، والإعجاز اللغوي يتضمن أساليبه، ومفرداته بل ومعانيه أضف إلى هذا أنه قد يتصور البعض أن القرآن كله أو أغلبه آيات عبادات، إلا أنه من يُديم النظر فيها يجدُها فقط لا تزيد عن الـــ٢% منه؛ لأن عدد آيات العبادات التي وردت بالقرآن الكريم حوالي (١٣٠) آية فقط، وأن عدد آيات الأخلاق (١٥٠٤) آية، وهذا دليل على أهمية الأخلاق، فقد جاء في الحديث عن أبي الدرداء، أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وسلم) قال: " ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليُبغض الفاحش البذيء"(١)، وقال كذلك : " إنما بُعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق" (٢) ، وعلم اللغة النفسي من أهم العلوم اللغوية التطبيقية الذي يظهر من خلاله الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، فمراعاة الخطاب القرآني للنفس البشرية من أهم الدواعي التي تجعلها مجالا خصبا للدراسة اللغوية، وهذا إعجاز فوق الإعجاز يقول د/ البوطي:" فهل يطيق بشر كائنا من كان

---

(١) سنن الترمذي لأبي عيسى (ت: ٢٧٩هـــ)٣/٤٣٠- رقم الحديث٢٠٠٢، تح: بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي – بيروت،(١٩٩٨ م).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (ت: ٤٥٨هـــ) ١٠/٣٢٣- رقم الحديث٢٠٧٨٢،تح: محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان-،ط٣(١٤٢٤ هـــ - ٢٠٠٣ م).

أن يخضع اللغة لمقاصده هذا الإخضاع العجيب فيحشد مثل هذه المعاني المتباعدة في كلمة واحدة تأتي طوع قصده ومراده بدون أي تمحّل أو تكلف أو تقعر؟...إن العقل لا يرتاب في أنها صنعة رب العالمين وكلامه"[١]، ولما كان كل ذلك متمثلا في القرآن الكريم ولغته جاءت فكرة البحث في محاولة لدراسة لغة القرآن الكريم من خلال مستوياتها الأربعة، وأثرها على النفس البشرية في الآيات التي جاء فيها الأمر بالرفق واللين.

وجاء البحث بعنوان " من الآيات الدالة على الرفق في الدعوة إلى الله – عز وجل – دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي"

ويهدف هذا البحث إلى أمور منها:– التنقيب والتفتيش عن إعجاز لغة القرآن الكريم من خلال خطابه، إذ روعي فيه الجانب النفسي الذي يُعد أصلا لعلم اللغة النفسي ،وهو من العلوم المستحدثة التي لها دور هام في تحديد الدلالة المرادة من اللفظ اللغوي.– التعريف بعلم اللغة النفسي، والفرق بين علم اللغة النفسي، وعلم النفس اللغوي .

وقد دفعني إلى هذا البحث عدة تساؤلات أهمها:

- هل هناك آيات في القرآن الكريم تحث على الرفق واللين في الدعوة إلى الله، وما هي هذه الآيات؟.
- ما هو علم اللغة النفسي، وهل هناك علاقة بين علم اللغة، وعلم النفس، وما هي أهدافه، وما مجالاته؟.
- هل الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم شمل الجانب النفسي أم تفاداه، وهل ظهر ذلك من خلال أصواته، وصيغه، وتراكيبه؟.

---

(١) من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل د/محمّد سَعيد رَمضان البوطي١٤٣– مؤسسة الرسالة – بيروت (١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م).

منهج البحث: اتبعت فيه المنهج الوصفي بآداتيه الإحصاء والتحليل، فقمت بجمع الآيات التي جاء فيها الأمر بالرفق في الدعوة إلى الله، ثم قمت بدراستها، وتحليلها في ضوء علم اللغة النفسي مبينة دلالة أصواتها، وصيغها، وتراكيبها، وأثر ذلك على النفس البشرية .

خطة البحث:

اقتضت خطة البحث أن يأتي في مقدمة وتمهيد ثم خمسة مباحث وخاتمة، ثم ثبت لأهم مراجع البحث، ثم فهرس المحتويات، فأما المقدمة فتضمنت ماهية البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

التمهيد وبه أولا: بيان معنى الرفق ، وأهميته في الدعوة إلى الله – عز وجل–.

ثانيا: التعريف بعلم اللغة النفسي، والفرق بين علم اللغة النفسي وعلم النفس اللغوي، والفرق بين علم النفس وعلم اللغة، وأهدافه، ومجالاته.

المبحث الأول:– الرحمة واللين في الدعوة إلى الله، وبه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول :– الوحدة الصوتية ودلالتها.

المطلب الثاني :– الوحدة الصرفية ودلالتها.

المطلب الثالث:– الوحدة التركيبية ودلالتها.

المبحث الثاني:– الحرص على مصلحة المدعوين، والاهتمام بهم، وبه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول :– الوحدة الصوتية ودلالتها.

المطلب الثاني :– الوحدة الصرفية ودلالتها.

المطلب الثالث:– الوحدة التركيبية ودلالتها.

المبحث الثالث:– الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن. وبه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول :- الوحدة الصوتية ودلالتها.

المطلب الثاني :- الوحدة الصرفية ودلالتها.

المطلب الثالث:- الوحدة التركيبية ودلالتها .

المبحث الرابع:- مقابلة الإساءة بالإحسان، والصبر على المسيء. وبه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول :- الوحدة الصوتية ودلالتها.

المطلب الثاني :- الوحدة الصرفية ودلالتها.

المطلب الثالث:- الوحدة التركيبية ودلالتها .

المبحث الخامس:- خفض الجناح والتواضع للمؤمنين. وبه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول :- الوحدة الصوتية ودلالتها.

المطلب الثاني :- الوحدة الصرفية ودلالتها.

المطلب الثالث:- الوحدة التركيبية ودلالتها.

خاتمة البحث، وسجلت فيها أهم الحقائق، والنتائج، والتوصيات، ثم ثبت بمصادر ومراجع البحث، ثم الفهارس.

وختاما: فالله أسأل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يُكتب له القبول في الأولين والآخرين، وأن يجعلني من الداعيات إلى الله برفق ولين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الباحثة

التمهيد

أولاً: بيان معنى الرفق ، وأهميته:

التعريف بالرفق:

الرفق لغة: "لين الجانب ولطافة الفعل وصاحبه رفيقٌ، وتقول: ارفُقْ وتَرَفَّقْ. ورفقاً معناه ارفُقْ رِفقاً، ولذلك نُصِبَ، ورَفَق رِفقاً"(١).

وعند الفيومي: "رَفَقْتُ بِهِ مِنْ بَابِ قَتَلَ رِفْقًا فَأَنَا رَفِيقٌ خِلَافُ الْعُنْفِ وَالرَّفِيقُ أَيْضًا ضِدُّ الأَخْرَقِ مَأْخُوذٌ مِنْ ذَلِكَ" (٢).

ويقول الكفوي: "الرفق: التوسط واللطافة في الأمر" (٣).

فالرفق معناه لين الجانب، والملاطفة، والنفع، وضد العنف، وضد الخرق.

ويشتق من كل هذه المعاني ما يدعو إلى الراحة والموافقة والمقاربة، يقول ابن فارس: "الرَّاءُ وَالْفَاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَةٍ وَمُقَارَبَةٍ بِلَا عُنْفٍ. فَالرِّفْقُ: خِلَافُ الْعُنْفِ؛ يُقَالُ رَفَقْتُ أَرْفُقُ. وَفِي الْحَدِيثِ: " إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ"(٤) هَذَا هُوَ الأَصْلُ ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ يَدْعُو إِلَى رَاحَةٍ وَمُوَافَقَةٍ" (٥) .

---

(١) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٠هـ) (ر ف ق)١٤٩/٥، تح: د/مهدي المخزومي، د/إبراهيم السامرائي– دار ومكتبة الهلال.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس الفيومي (ت: نحو٧٧٠هـ) (رف ق)٢٢٣/١– المكتبة العلمية – بيروت.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)٤٨٢/١، تح: عدنان درويش – محمد المصري– مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٤) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(ت: ٢٥٦م) ١٦/٩– رقم الحديث٦٩٢٧، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر– دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١ (١٤٢٢هـ).

(٥) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) (ر ف ق)٤١٨/٢، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر–(١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

الرفق اصطلاحًا:

يقول ابن حجر: " الرفق بكسر الراء وسكون الفاء بعدها قاف هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف"(١).

وقال القاري:" الرفق: بالكسر ضد العنف وهو المداراة مع الرفقاء ولين الجانب واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها"(٢).

أهمية الرفق في الدعوة إلى الله –عز وجل –.

إن الدعوة إلى الله عز وجل وسيلة من وسائل الطاعات الموصلة إلى رب البريات، فهي شرف عظيم، ونعمة جليلة؛ لأنها وظيفة الأنبياء، يقول الله تعالى ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (الأحزاب:٤٦)،

ومن أهم سمات هذه الدعوة المباركة أن تكون بالرفق واللين حتى تؤثر في القلوب امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾، واقتداءً بإمام الداعين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وما حدث منه مع معاوية بن الحكم فـــ "عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ،

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ٤٤٩/١٠– دار المعرفة – بيروت، (١٣٧٩)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي– قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب –عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن محمد الملا الهروي القاري (ت:١٠١٤هـــ) ٣١٧٠/٨– دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١(١٤٢٢هـــ – ٢٠٠٢م).

مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ."(١)

أثر الرفق في الدعوة إلى الله – عز وجل – على الداعي، والمدعوين، والأمة.

١- اقتداء الداعي بالرسول (ﷺ) في نشر الدعوة بالرفق والين ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

٢- نشر الدعوة في أرجاء الأرض، وتحقيق الهدف من الخلافة فيها ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦)

٣- إقامة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهما من مميزات هذه الأمة ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)

٤- نشر الأخلاق الكريمة، والتي يعود أثرها بالنفع على الفرد والمجتمع.

٥- تحقيق القدوة التي تؤثر على جميع فئات المجتمع .

٦- التواصي بالحق والصبر ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾(العصر:٣).

٧- الرفق واللين سببا كل خير، وينتج عنهما من الأغراض، والمطالب ما لا ينتج بغيرهما، ففي حديث عائشة (رضي الله عنها) " أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ» إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ "(٢) ،

---

(١) صحيح مسلم ٣٨١/١- رقم الحديث ٥٣٧

(٢)المسند الصحيح لمسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ) ٢٠٠٣/٤- رقم الحديث٢٥٩٣-، تح محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

وهناك الكثير والكثير من الآثار المترتبة على الرفق واللين في الدعوة إلى الله، ولكن يضيق المجال لذكرها .

تعريف علم اللغة النفسي :

يعد علم اللغة النفسي فرعًا من فروع علم اللغة التطبيقي، وقد عرّفه اللغويون المحدثون تعريفات كثيرة، وكلها تتفق على أن علم اللغة النفسي " علم يهتم بدراسة السلوك اللغوي للإنسان، والعمليات النفسية العقلية المعرفية التي تحدث أثناء فهم اللغة واستعمالها، التي مَن بها يكتسب الإنسان اللغة "[(١)] ، ولكن بعض هذه التعريفات تنظر إليه نظرة لغوية نفسية، وبعضها تنظر إليه نظرة نفسية لغوية، وسيتضح الفرق بين النظرتين، فـــ" يرى فريق من الباحثين أن المصطلحين مترادفان، وأنهما إسمان لعلم واحد عُرف أول الأمر بعلم النفس اللغوي، ثم تطور فأضيف إليه مصطلح آخر هو علم اللغة النفسي، والمتتبع للدراسات اللغوية والنفسية يُدرك أن ثمة فروق دقيقة بين المصطلحين[(٢)] .

علم اللغة النفسي	علم النفس اللغوي
١- أقدم في الظهور. ٢- فرعا من فروع علم اللغة. ٣- يهتم بالتفسير اللغوي للعمليات العقلية ذات العلاقة بفهم اللغة واستعمالها، واكتسابها. ٤- يهتم بالبحث في أثر القيود النفسية على فهم اللغة، واستعمالها، وبخاصة ما يتعلق بالذاكرة.	١- أسبق في الظهور. ٢- فرعا من فروع علم النفس. ٣- يهتم بعلم نفس اللغة، فيدرسها بوصفها مكونا من المكونات النفسية، وظاهرة من ظواهر النفس البشرية، ويتناولها أداة لشرح المفاهيم النفسية كالذكاء والذاكرة والانتباه والخوف وعيوب النطق والتعلم وتحديد وظائفها في السلوك. ٤- يهتم بالحديث المفصل عن المذاهب النفسية المختلفة في تعليم الأطفال.

(١) علم اللغة النفسي د/ عبدالعزيز العصيلي ٢٧- منتدى سور الأزبكية (١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م).
(٢) السابق٢٨.

ويلاحظ من خلال التعريف السابق أيضًا أنه " يوجد ارتباط وثيق بين علم اللغة وعلم النفس، فعلم النفس يعني بدراسة السلوك الإنساني عامة، ودراسة السلوك اللغوي يعتبر حلقة اتصال بين علم اللغة وعلم النفس"(١) .

علم اللغة وعلم النفس:

"إن مجال الدراسة النفسية للغة هو: كيفية تحويل المتحدث للاستجابة إلى رموز لغوية To Encode وهذه عملية عقلية ينتج عنها إصدار الجهاز الصوتي للغة ،وعندما تصل اللغة إلى المخاطب أو المتلقي، ويقوم بترجمة وتحويل هذه الرموز اللغوية في ذهنه إلى المعنى المراد To decode تتم عملية عقلية أخرى"(٢) .

فيفهم من هذا أن الرموز الصوتية التي تصدر من الجهاز الصوتي هي مجال البحث في اللغة، وتكوين المعاني النفسية والاستجابة لهذه المعاني هو مجال البحث في النفس .

ولقد قسم علماء اللغة وعلماء النفس الكلام أو اللغة إلى قسمين :

الأول: اللغة الانفعالية، وهي التي تخاطب العاطفة، وبمقدار ما يمهر المتحدث في إثارة الأحاسيس والعواطف، بمقدار ما يكزن نجاحه في نقل المعنى وتصوير العاطفة.

اللغة غير الانفعالية، وهي التي يكون المعول فيها على تصوير المعنى العقلي ...، ولا يكون للعواطف والانفعالات والأحاسيس النفسية أثر بارز فيها؛ لأنها تخاطب العقل ولا تخاطب العوطف(٣).

---

(١) علم النفس اللغوي د/ نوال محمد عطية ١٥– المكتبة الأكاديمية، ط٣(١٩٩٥).

(٢) السابق ٢٣.

(٣) ينظر في علم اللغة العام د/ عبدا لعزيز علام ٢١٨ – القسم الأول، ط١(١٤٠٩هـ =١٩٨٨م)– دار الطباعة المحمدية .

" فإذا تتبعنا العبارات اللفظية المختلفة، فإننا لا نجدها لا تخلو من ألفاظ انفعالية معينة، فنحن نستخدم – أحيانا– قبل العبارة اللفظية أو في نهايتها لفظا معينا قد يكون قسما أو تعجبا أو غير ذلك مما نقصد به التأثير الانفعالي في القارئ أو السامع" (١).

أهداف علم اللغة النفسي(٢) :

- كيفية اكتساب الإنسان اللغة واستعمالها.
- كيفية فهم الإنسان الكلام، وكيفية إنتاجه.
- كيفية توظيف القواعد العقلية في العمليات التواصلية.
- إيجاد المشكلات التي تؤثر في اكتساب اللغة، وكيفية فهمها، واستعمالها.

مجالات علم اللغة النفسي(٣) :

١- فهم اللغة سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة.

٢- استعمال اللغة أو إصدار الكلام.

٣- اكتساب اللغة سواء أكانت لغة أمًّا أم لغة ثانية أو أجنبية.

٤- العمليات التواصلية وما يرتبط بها من نواح فسيولوجية وفيزيائية وسمعية وعصبية، والعوامل المؤثرة في ذلك سواء أكانت عوامل داخلية أم عوامل خارجية.

٥- المشكلات والاضطرابات اللغوية كعيوب النطق الخلقية أو العيوب اللغوية التي تحدث نتيجة إصابة عضو من أعضاء النطق...، وما يرتبط به من أعصاب أو أجهزة في مراكز اللغة في الدماغ.

---

(١)علم النفس اللغوي د/ نوال محمد عطية ٦١.

(٢) علم اللغة النفسي د/ عبدالعزيز العصيلي٣٥.

(٣) ينظر علم اللغة النفسي د/العصيلي ٣٦-٣٧، وينظر العربية وعلم اللغة الحديث د/ محمد محمد داود ٩٣- دار غريب(٢٠٠١)، وينظر علم اللغة النفسي في التراث العربي د/جاسم علي جاسم ٥٠٩- مجلة الجامعة الإسلامية -ع١٥٤.

٦- الذكاء الاصطناعي،

" والحديث عن وظائف علم اللغة النفسي ومجالاته وموضوعاته المختلفة يكون من خلال المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والتركيبية، ولا فائدة من الحديث عن هذه الجوانب نفسيا قبل التعرف بها لغويا " (١).

ولا شك أن " لغة القرآن الكريم لغة فريدة متميزة...، تمزُج بين العقل والعاطفة، فهي تخاطب العقل، وتحرك العاطفة، وتثير الإحساس، فيستجيب العقل والعاطفة في آن واحد، فيصل القارئ أو السامع مع لغة القرآن الكريم إلى مستوى من الإقناع معجز لا يحدث مع كلام آخر مهما بلغ من درجات الفصاحة والبلاغة (٢) .

العلاقة بين علم اللغة النفسي، وعلم الدلالة :

هناك علاقة وطيدة بين علم اللغة النفسي وعلم الدلالة " إذ إن لكل كلمة مضمونا منطقيا، ومضمونا، أو ارتباطا نفسيا، والأول هو المعنى الذي يُنص عليه في القاموس في الأغلب، ولكن المضمون النفسي يختلف من متكلم لمتكلم اختلافا كبيرا، ولا يمنع هذا من أن يشترك المتكلمِين في المضمونَيْن"(٣) ، وانطلاقا من هذه العلاقة ينطلق موضوع البحث وهو دراسة آيات الرفق في الدعوة إلى الله –عز وجل– دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي؛ لبيان الأثر النفسي لدراسة هذه الآيات على المستويات الثلاثة (الصوتية، والصرفية، والتركيبية) وربطهم بالمعنى، وأثر ذلك على متلقي هذا النص القرآني وهم المدعوون .

---

(١) ينظر علم اللغة النفسي د/العصيلي ٢٥.

(٢) ينظر علم اللغة العام د. عبدالعزيز علام٢١٩– ٢٢٠.

(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي .د/ محمود السعران ٢٧٨– دار النهضة العربية.

المبحث الأول

الرحمة واللين في الدعوة إلى الله

قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

أولا: سبب نزول الآية:

أوضح ما قيل في ذلك أنه : قد نزلت هذه الآيات عقب واقعة أحد، التي خالف فيها النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – بعض أصحابه، وكان من جراء ذلك ما كان من الإخفاق، وظهور المشركين عليهم، حتى أصيب النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – مع من أصيب، فصبر، وتجلَّدَ، ولان في معاملة أصحابه، وخاطبهم بالرِّفْق، ولم يعاتبهم اقتداء بكتاب الله تعالى؛ إذ أنزل في هذه الواقعة آيات كثيرةً بيَّن فيها ما كان من ضعف بعض المسلمين، وعصيانهم، وتقصيرهم حتى ذكر الظنون والهواجس النفسية، لكن مع العتب المقترن بذكر العفو والوعد بالنصر وإعلاء الكلمة(١).

ثانيا: معنى الآية الكريمة :

يقول ابن عجيبة:" فبرحمة من الله ونعمة كنت سهلاً ليناً رفيقاً، فحين عصوا أمرك، وفروا عنك، ألنت لهم جانبك، ورفقت بهم، بل اغتممت من أجلهم مما أصابهم، ولَوْ كُنْتَ فَظًّا جافيا سيئ الخلق غَلِيظَ الْقَلْبِ قاسيَهُ فأغلظت لهم القول، لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ أي: لتفرقوا عنك، ولم يسكنوا إليك، فَاعْفُ عَنْهُمْ فيما يختص بك، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ في حق ربك حتى يشفعك فيهم، وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ الذي يصح أن يشاور فيه تطييباً

(١) ينظر حدائق الروح والريحان٥/٢٢٨.

لخاطرهم، ورفعاً لأقدارهم، واستخراجاً وتمهيداً لسنة المشاورة لغيرهم، وخصوصًا الأمراء"(١).

ثالثا: مناسبة الآية الكريمة للمقصد العام للسورة:

ذكر البقاعي أن مقصد سورة آل عمران: "التوحيد، والدليل على أن المقصود من هذه السورة، الدلالة على التوحيد: تسميتها بآل عمران، فإنه لم يعرب عن هذا القصد في هذه السورة، ما عرب عنه ما ساقه سبحانه فيها من أخبارهم، بما فيها من الأدلة على القدرة التامة الموجبة للتوحيد، الذي ليس في درج الإيمان أعلى منه، فهو التاج الذي هو خاصة الملك المحسوسة، كما أن التوحيد خاصته المعقولة"(٢).

فلما كان مقصد السورة التوحيد ناسب هذا المقصد هذه الآية الكريمة التي تحث النبي (صلى الله عليه وسلم) على لين الجانب والتواضع وعدم القسوة والغلظة والمشورة في الأمر، والعزم على ذلك كله لكي يقبلوا على تنفيذ أوامره (صلى الله عليه وسلم) بنفس راضية فلا يكون منهم نفورا بسبب معاملته (صلى الله عليه وسلم)، ويدل على ذلك أنه عندما سئلت السيدة عَائِشَةَ: كَيْفَ كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِهِ؟ قَالَتْ: " كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا سَخَّابًا بِالأَسْوَاقِ، وَلَا يُجْزِئُ بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ "(٣) ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) متحلِّيا بكل خلق كريم، مبتعدا عن كل وصف ذميم، يضرب به المثل(صلى الله عليه وسلم) في حسن وعظيم الخلق.

---

(١) البحر المديد لابن عجيبة الإدريسي الشاذلي (ت١٢٢٤هـ)٤٦/١، تح: أ.د/أحمد عبدالله القرشي رسلان –الناشر: د/ حسن عباس زكي – القاهرة– ط (١٤١٩هـ).

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي (ت: ٨٥٨هـ)٦٧/٢-٦٨- مكتبة المعارف– الرياض، ط١(١٤٠٨هـ=١٩٨٧م).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ومذيله بأحكام أبو شعيب الأرناؤوط ١٣١/٤٣- رقم الحديث٢٥٩٩٠– مؤسسة قرطبة – القاهرة(د. ت).

رابعًا: تأثير الوحدات اللغوية، وأثرها على المتلقي:

المطلب الأول: الوحدات الصوتية ودلالتها:

تقول د/ فاطمة الباجوري: "عند معالجة الوحدات الصوتية، لبيان إيحاءاتها، المقصود: بيان أثر الفونيمات الموجودة في الكلمة بسياقها وترتيبها التي عليها هيئتها؛ لأن الصوت تتغير إيحاءاته تبعا لتغير مكانه في الكلمة، ونظرًا لتغير سياقه، والحروف المجاورة له" (١).

وبناء على ما قالته الدكتورة سأعتمد في الكلمة التالية على المعنى اللغوي للمادة أو الجذر اللغوي لها، وأستعين ببعض المخارج وبعض الصفات، ولعل بعض المقاطع أتعرض لها، ثم أعلق على ذلك بفتوح الله علي .

لنت:

تدور مادة (ل ي ن) حول هذه المعاني " لين: اللين: ضد الخشونة. يقال في فعل الشيء اللين: لان الشيء يلين لينا وليانا وتلين وشيء لين ولين، مخفف منه، والجمع ألييناء.... ورجل هين لين وهين لين، العرب تقوله"(٢).

وبالنظر والتأمل في المعنى اللغوي لكلمة (لين) نجد أن فيها معنى حسيا وهو ضد الخشونة فهي شيء ملموس، فكأن الشيء الخشن عندما لان صار ناعما، والفعل عندما يكون حسنا أو سيئا فيكون شيئا ملموسا أيضا، ومعنى نفسيا ومعنويا وهو سهولة المعاملة في القول.

---

(١) الخطاب القرآني في آيات حب اله للمحسنين دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي د/ فاطمة رجب الباجوري١٢٣٥– بحث مستل من مجلة الزهراء– ع ٢٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور(ت: ٧١١هـ) (ل ي ن)٣٩٤/١٣ ، دار صادر – بيروت، ط٣(١٤١٤هـ).

أصوات الكلمة القرآنية وتأثيرها الدلالي.

لو تأملت حروف كلمة (ل ي ن) بمخارجها وصفاتها لوجدت تناغما وتناسبا بين هذه الأصوات ودلالتها حيث إن اللين: هو طواعية الشيء للشيء سواء أكان حسيا أم معنويا كما ذكرت سابقا.

فإذا نظرت إلى هذه الأصوات (ل ي ن) والتي تبدأ بحرف اللام والذي يخرج من " حافة اللسان، ثم حرف الياء الذي يخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، ثم يختم بحرف النون الذي يخرج من طرف اللسان "(١).

وكأن حرف اللام الذي يخرج من حافة اللسان يمثل الرفق واللين الذي يكون من جانب النبي (صلى الله عليه وسلم) في المعاملة مع كل الخلق، ويتناسب ذلك مع حرف الياء الذي يخرج من وسط اللسان فالرسول (صلى الله عليه وسلم) وسط في تعامله لا هو بالشديد الذي ينفِّر الناس منه ومن دعوته، ولا هو بالسهل الذي يضيِّع حق دينه، وحقه (صلى الله عليه وسلم)، ويؤكد مخرج النون الذي هو طرف اللسان رحمة النبي (صلى الله عليه وسلم) سواء أكانت داخلية أم خارجية حسية أم معنوية، ويدلنا على ذلك قول ابن عاشور:" إِذْ كَانَ لِينُهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لِينًا لا تَفْرِيطَ مَعَهُ لِشَيْءٍ مِنْ مَصَالِحِهِمْ، وَلا مُجَارَاةً لَهُمْ فِي التَّسَاهُلِ فِي أَمْرِ الدِّينِ، فَلِذَلِكَ كَانَ حَقِيقًا بِاسْمِ الرَّحْمَةِ." (٢)

ويعيننا على هذا التشبيه صفة التوسط المتأصلة في حرفي اللام والنون وهذا يستدعي من النبي (صلى الله عليه وسلم) الملاطفة واللين في التعامل مع

---

(١) الكتاب لأبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه(ت١٨٠ه) ٤٣٣/٤، تح: أ.عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة، ط٣(١٤٠٨ه=١٩٨٨م).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)١٤٤/٤- الدار التونسية للنشر – تونس(١٩٨٤ هـ).

أصحابه الذين خالفوا أمره ، وأيضا صفة النون التي تتصف بالتوسط بين الشدة والرخاوة، وكأن التعبير القرآني أتى بلفظ فيه حروف وسطية؛ ليوضح أن الوسط في كل شيء هو الأفضل، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:١٤٣)، وجاء في المثل:" خَيْرَ الأُمُورِ أَوْسَطُهَا."(١)، كما أن هذه الكلمة (لِنْتَ) تصنف على أنها مقطع متوسط (ص ح ص ص ح) وذلك مثل تعامله (صلى الله عليه وسلم) بالوسطية، علاوة على أن هذا المقطع من أكثر المقاطع شيوعا في اللغة العربية(٢)، وهذا يؤكد ما قيل من أن الوسطية في القول والفعل هي الأفضل، وذلك من الأمور التي يجب أن تتوفر في الداعية ، وهو مما نادى به القرآن الكريم فلذلك هي شائعة.

فيتضح أن لفظ (لنت) بتأثير فونيماته أظهر معنى اللين سواء أكان حسيا أم معنويا وهذا ما قال به الرافعي:" وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت"(٣).

فظًّا:

تدور مادة (ف ظ ظ) حول: " الفظ: الخشن الكلام، وقيل: الفظ الغليظ،...،والفظظ: خشونة في الكلام. ورجل فظ: ذو فظاظة جاف غليظ،

---

(١) الأمثال في الحديث النبوي لأبى محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، ٤١٧/١- تح: د. عبد العلي عبد الحميد حامد-الدار السلفية - بومباي - الهند- ط٢(١٤٠٨ - ١٩٨٧م).

(٢) ينظر مقدمة في علم أصوات العربية د. عبدالفتاح البركاوي ٩٠،٩٢.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ت:١٣٥٦هـ)١٤٩/١- دار الكتاب العربي - بيروت، ط٨ (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م).

في منطقه غلظ وخشونة...، والفظ: ماء الكرش يعتصر فيشرب منه عند عوز الماء في الفلوات، وبه شبه الرجل الفظ الغليظ لغلظه." [١]

فبالنظر والتأمل في لفظ (فظا) لوجدنا فيها معنى حسيا ومعنويا، فالحسي هو وجود الماء بعد ذبح الإبل، وأخذه من كرشها، والماء من كرش الإبل منفور منه، وغير مستساغ في الطعم، ولأن هذا النفور يورث شيئا غير حسن، وهو عدم الاستساغة فسمي الخشن في القول فظ، وفي هذا معنى معنويا.

أصوات الكلمة القرآنية وتأثيرها الدلالي:

لو نظرنا إلى أصوات حروف مادة (ف ظ ظ) لوجدناها تبدأ بالفاء التي تخرج "من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى، ثم ختمت بالظاء التي تخرج مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا" [٢]، وكأن حرف الفاء الذي يخرج من باطن الشفة السفلى يدل على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان ينوي داخليا أن يكون شديدا في القول مع من خالفوه فنهاه الله – سبحانه وتعالى– قائلا لو فعلت ذلك (لانفضوا من حولك)، وتأكيدا على ذلك فإن الفاء المهموسة " التي لا تهتز معها الأوتار الصوتية " [٣]؛ ناسبت نيته (صلى الله عليه وسلم) في غلظة القول مع الذين خالفوه، ثم ختم بمقطع مزدوج الإغلاق، وذلك في حالة الوقف[٤] (فَظّ) (ص ح ص ص)؛ ليوضح أن الفظاظة شيء غير حسن يغلق مفاتيح القلوب، وكأنه يحثنا على عدم الغلظة في التعامل، وهذا من أوضح الدلائل على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أكثر الخلق حلما، وأحسنهم خلقا؛ لأنه إمام العاملين.[٥].

---

(١) لسان العرب(ف ظ ظ)٤٥١/٧.

(٢) الكتاب ٤٣٣/٤.

(٣) ينظر مقدمة في علم أصوات العربية د. عبدالفتاح البركاوي١١.

(٤) السابق ٩١.

(٥) ينظر مفاتيح الغيب = التفسير الكبير للرازي (ت: ٦٠٦هـ)٤٠٥/٩– دار الكتب العلمية بيروت، ط١(١٤٢١هـ).

(لانفضوا):

تدور مادة (ف ض ض) حول: "فض: قَالَ اللَّيْث: الفَضُّ تفريقُك حَلَقَةً من النَّاس بعد اجْتِمَاعهم"(١)

ويقول ابن فارس:" الْفَاءُ وَالضَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَفْرِيقٍ وَتَجْزِئَةٍ. مِنْ ذَلِكَ: فَضَضْتُ الشَّيْءَ، إِذَا فَرَّقْتَهُ ؛ وَانْفَضَّ هُوَ. وَانْفَضَّ الْقَوْمُ: تَفَرَّقُوا." (٢)

فبالنظر والتأمل في مادة (ف ض ض) عند الأزهري لوجدنا أن فيها معنى حسيا، وهو الإعراض عن المجلس، وعدم الوجود فيه، ولو نظرنا لمعناه عند ابن فارس لوجدنا فيه معنى حسيا كما ذكرت، ومعنى معنويا وهو التجزئة أي أن الجالسين متجزئين فهم حاضرون بأجسادهم منفضّين أو متفرقين بعقولهم في عدم سماعهم للرسول (صلى الله عيه وسلم)، وأظنهم والله أعلم المنافقين؛ لأن الله تعالى قال في حقهم ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ (النور: ٦٣)، وقال في حق المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾ (النور: ٦٢).

أصوات الكلمة القرآنية وتأثيرها الدلالي:

إذا نظرنا إلى أصوات حروف مادة (ف ض ض) بمخارجها وصفاتها لوجدنا تناغما وتناسقا عجيبا بين هذه الأصوات ودلالتها، فعندما ننظر إلى حرف الفاء الذي يخرج " من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى"(٣)

---

(١) تهذيب اللغة للعلامة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) (ف ض ض)٣٢٥/١١- تح الأستاذ أحمد عبد العليم البردوني- مراجعة الأستاذ على محمد البجاوي- الدار المصرية للتأليف والترجمة (د. ت) .

(٢) مقاييس اللغة (ف ضّ) ٤٤٠/٤.

(٣) الكتاب ٤٣٣/٤.

وصفة الضاد المجهورة التي عُرِّفت بأنها: " صوت قوي يمنع النفس أن يجري معه عند النطق به لقوته، وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه"(١)، فكأن حرف الفاء بخروجه من باطن الشفة السفلى يبين، ويوضح نية الصحابة في عدم سماعهم كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومخالفة أمره، ثم أتى حرف الضاد المجهور الذي من سمته الوضوح والبيان، والشهرة والذيوع، – فلقد سميت لغة باسمه وهي اللغة العربية (لغة الضاد) فهذا دليل الشهرة والذيوع –، أي أنه أشهر وأذاع ما كان نواه الصحابة من عدم سماعهم كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد ما كان أمرا خفيا في نيتهم، ثم إنه أيضا من الصفات القوية؛ لأن أكثر صفاته قوية، فهو صوت مجهور، رخو، مستعل، مطبق، مصمت، وهذا يتناسب مع المعنى الوارد في الفض وهو التفرق، والتشتت، وذلك مع إقرارنا لتعظيم الصحابة للجناب النبوي، ولا أدل على ذلك من السياق الخارجي المتمثل في قول عروة ابن مسعود الثقفي (رضي الله عنه) حين فاوض النبي في صلح الحديبية، فلما رجع إلى قريش قال لهم:" أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ." (٢)

---

(١) في الصوتيات العربية والغربية د. مصطفى بو عناني٦٩،عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١(٢٠١٠م).

(٢) صحيح البخاري١٩٣/٣– رقم الحديث٢٧٣١.

المطلب الثاني: الوحدات الصرفية (المورفيمات) ودلالتها:

تنوعت الوحدات الصرفية في هذا المبحث بين المصدر، وصيغ المبالغة، وصيغ أخرى توضحها الدراسة التالية:

أ- (المصدر):

ورد التعبير بالمصدر في الآية الكريمة في الألفاظ التالية(رحمة، الأمر)

عُبِّر عن الوحدة الصرفية (المصدر) بالمبالغة :" فهذه المصادرُ كلُّها ممّا وُصف بها للمبالغة، كأنّهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى لكثرةِ حُصوله منه، وقالوا: "رجلٌ عَدْلٌ، ورِضى، وفَضْلٌ"، كأنّه لكثرةِ عَدْله، والرضى عنه، وفَضْلِه، جعلوه نفسَ العدل، والرضى، والفضلِ"[١].

١- **رحمة:** مصدر سماعي[٢] من رحم يرحم باب نصر ثلاثي على وزن (فعل)، والرحمة: " هي حالة وجدانية تعرض غالبا لمن به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان، والرحمة هي أن يوصل إليك المسار، والرأفة هي أن يدفع عنك المضار، والرأفة إنما تكون باعتبار إفاضة الكمالات والسعادات التي بها يستحق الثواب، فالرحمة من باب التزكية، والرأفة من باب التخلية والرأفة مبالغة في رحمة مخصوصة هي رفع المكروه وإزالة الضر" [٣]. والمراد بالرحمة هنا:"ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه"[٤]

---

(١) شرح المفصل للزمخشري المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت٦٤٣هـ) ٢/٢٣٧، قدم له: د.إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١(١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م).

(٢) شذا العرف في فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوي١/٥٨ – طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية (١٤٣٣هـ=٢٠١٢م) .

(٣) الكليات١/٤٧١.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت٦٨٥هـ)٢/٤٥، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي – دار إحياء التراث العربي – بيروت– ط١(١٤١٨هـ).

فالتعبير بالمصدر هنا فيه دلالة واضحة على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) مفطور على الرحمة التي هي من باب التزكية من الله سبحانه وتعالى لأشرف خلقه، كما لا يخفى ما فيه من إيحاء نفسي لدخول الكثير في الإسلام عندما يكون الداعي لهذا الدين رحيم بهم، "فَكَانَ لينه رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ بِالأُمَّةِ فِي تَنْفِيذِ شَرِيعَتِهِ بِدُونِ تَسَاهُلٍ وَبِرِفْقٍ وَإِعَانَةٍ عَلَى تَحْصِيلِهَا، فَلِذَلِكَ جُعِلَ لِينُهُ مُصَاحِبًا لِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِيهِ " (١).

٢- **الأمر:** مصدر سماعي من أمر يأمر باب نصر، ثلاثي على وزن (فعل) "الأَمْرُ: واحدُ الأُمورِ. يقال: أَمْرُ فلانٍ مستقيمٌ، وأُمورُهُ مستقيمةٌ... وأَمَرْتُهُ بكذا أَمْراً. والجمع الأَوامِرُ." (٢)، والمراد به في الآية:" قيل: فِي أَمْرِ الْحَرْبِ وَالدُّنْيَا وَقِيلَ: فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَا لَمْ يَرِدْ نَصٌّ، وَلِذَلِكَ اسْتَشَارَ فِي أَسْرَى بَدْرٍ." (٣)، وقيل المراد به:" مُهِمَّاتُ الأُمَّةِ وَمَصَالِحُهَا فِي الْحَرْبِ وَغَيْرِهِ." (٤).

فالتعبير بالمصدر هنا يدل دلالة واضحة على أن أمر الله وهو الحرب آت لا محالة، كما أن المشاورة في الأمر فيها إيحاء نفسي بأن للصحابة قدر وقيمة وأصحاب رأي ومشورة عند رسول الله، كما أن المشاورة في الأمر

---

(١) التحرير والتنوير ١٤٥/٤.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) (أ م ر) ٥٨١/٢، تح: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين – بيروت- ط٤(١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

(٣) البحر المحيط لأبى حيان الأندلسي(ت٧٤٥ه)٤٠٩/٣، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض، وشارك فى التحقيق د. زكريا عبدالمجيد النوقى، د. أحمد النجولي الجمل- دار الكتب العلمية – لبنان، ط١(١٤٢٢ه=٢٠٠١م) .

(٤) التحرير والتنوير ١٤٧/٤.

فيها استخلاص للآراء،والوصول إلى أصوبها، فلقد جاء في الأثر " مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ إِلَّا هُدُوا لِأَرْشَدِ أَمَرِهِمْ" (١).

ب- صيغ المبالغة:

"هي أسماء تُشتق من الأفعال للدلالة على معنى اسم الفاعل بقصد المبالغة"(٢)، وورد منها في الآية الكريمة: **(صيغة فعيل) في (غليظ)** فهي من " غَلُظَ الشَّيْءُ بِالضَّمِّ غِلَظًا...، وَالِاسْمُ الْغِلْظَةُ بِالْكَسْرِ ....، وَهُوَ غَلِيظٌ وَالْجَمْعُ غِلَاظٌ وَعَذَابٌ غَلِيظٌ شَدِيدُ الْأَلَمِ وَغَلُظَ الرَّجُلُ اشْتَدَّ فَهُوَ غَلِيظٌ أَيْضًا"(٣).

فهي صيغة مبالغة المقصود منها المبالغة في الشدة والقسوة، وفي التعبير بكلمة (غليظ) هنا للدلالة على غلظة القلب التي لا تتأثر بأي شيء " فقد لا يكون الإنسان سيء الخلق ولا يؤذي أحدا ولكنه لا يرق لهم ولا يرحمهم"(٤).

جـ- صيغة تفعّل:

هي صيغة تأتي لمعان عديدة منها: " مطاوعة فعَّل مضعف العين، كنَّبهته فتنَّبه. وكسَّرته فتكَسّر، والاتخاذ، كتوسّد ثوبه: اتخذه وسادة، والتكلف، كتصبّر وتحلّم: تكلَّف الصبر والحلم، والتجنُّب كتحرّج وتهجّد، والتدريج، كتجرّعت الماء، وتحفَّزت العلم: أي شربت الماء جرْعة بعد أخرى، وحفظت العلم مسألة بعد أخرى؛ وربما أغنت هذه الصيغة عن الثلاثي، لعدم وروده، كتكلّمَ وتَصدَّى"(٥).

---

(١) الأدب لابن أبي شيبة (ت:٢٣٥هـ)١٤٩/١، تح: د. محمد رضا القهوجي- دار البشائر الإسلامية – لبنان، ط١(١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

(٢) مقصوصات صرفية ونحوية لثامر إبراهيم المصاروة٨/١-، طبعة جديدة ومنقحة (٢٠٠٦/٢٠٠٧ م).

(٣) المصباح المنير(غ ل ظ)٤٥٠/٢.

(٤) مفاتيح الغيب٤٠٧/٩.

(٥) شذا العرف ٣٣/١.

وردت هذه الصيغة في قوله (توكل)، و"وكل بالله وتوكل عليه واتكل استسلم إليه، ... يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به" (١).

فالتعبير بصيغة (توكّل)المضعفة العين أفادت الخضوع والاستسلام لله أي أنني أدخلت نفسي في التوكل على الله بعد أخذي بالأسباب البشرية أولا ثم الدعاء ثانيا، وفي النهاية تركت الأمر لله، وهذا ما قال به ابن قتيبة :" تأتي تَفَعَّلْتُ بمعنى إدخالك نفسك في أمر حتى تضاف إليه أو تصير من أهله، نحو " تَشَجَّعْتُ "(٢) وتأكيدا على ذلك يقول الرازي:" التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها، بل يعول على عصمة الحق"(٣).

ويقول ابن عاشور: "التَّوَكُّلُ حَقِيقَتُهُ الِاعْتِمَادُ، وَهُوَ هُنَا مَجَازٌ فِي الشُّرُوعِ فِي الْفِعْلِ مَعَ رَجَاءِ السَّدَادِ فِيهِ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ شَأْنُ أَهْلِ الإِيمَانِ، فَالتَّوَكُّلُ انْفِعَالٌ قَلْبِيٌّ عَقْلِيٌّ يَتَوَجَّهُ بِهِ الْفَاعِلُ إِلَى اللَّهِ رَاجِيًا الإِعَانَةَ وَمُسْتَعِيذًا مِنَ الْخَيْبَةِ وَالْعَوَائِقِ، وَرُبَّمَا رَافَقَهُ قَوْلٌ لِسَانِيٌّ وَهُوَ الدُّعَاءُ بِذَلِكَ"(٤).

فالتعبير القُرآني بتلك الصيغة (توكل) له دلالة نفسية، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) في لينه القول مع المخالفين، والعفو عنهم، والاستغفار لهم، ومشاورتهم في أمر الحرب، كل هذا أخذ بالأسباب بعد ذلك يأتي التوكل على الله الذي يمثل الراحة النفسية لاستراحة قلبه عن التدبير وتفويض الأمر لله، ويأتي بعده الجزاء وهو حب الله للمتوكلين فعَنْ هِشَامِ بْنِ زِيَادٍ أَبِي الْمِقْدَامِ،

---

(١) لسان العرب(و ك ل)١١/٧٣٤.

(٢) أدب الكاتب لابن قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦هـ)١/٤٦٦، تح: محمد محي الدين عبدالحميد– المكتبة التجارية– مصر– ط٤(١٩٦٣م).

(٣) مفاتيح الغيب٩/٤١٠.

(٤) التحرير والتنوير٤/١٥١.

...، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ"(١).

المطلب الثالث: الوحدات النحوية (التركيبية) ودلالتها:

وجدت في هذا المبحث ست وحدات نحوية (تركيبية) خمسة خبرية، وواحدة إنشائية، ولكل منها دلالات، وأثر ذلك على نفس المتلقي.

الوحدة التركيبية الأولى: (خبرية) (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ):

أي فبرحمة من الله لنت لهم، فمن العلماء من قال أنها زائدة " وما هُنَا زَائِدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ، وَزِيَادَتُهَا بَيْنَ الْبَاءِ وَعَنْ وَمِنْ وَالْكَافِ، وَبَيْنَ مَجْرُورَاتِهَا شَيْءٌ مَعْرُوفٌ فِي اللِّسَانِ، مُقَرَّرٌ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ" (٢).

ومنهم من قال بعدم الزيادة :" (وما) قد جرد عنها معنى النفي ودخلت للتأكيد وليست بزائدة على الإطلاق لا معنى لها، وأطلق عليها سيبويه اسم الزيادة من حيث زال عملها، وهذه بمنزلة قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٥] قال الزجاج: الباء بإجماع من النحويين صلة وفيها معنى التأكيد(٣)، ومعنى الآية : التقريع لجميع من أخل يوم- أحد- بمركزه، أي كانوا يستحقون الملام منك، وأن لا تلين لهم، ولكن رحم الله جميعكم، أنت يا محمد بأن جعلك الله على خلق عظيم، وبعثك لتتمم محاسن الأخلاق، وهم بأن لينك لهم وجّعلت بهذه الصفات لما علم تعالى في

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني (ت:٤٣٠هـ)٢١٨/٣، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر- (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

(٢) البحر المحيط٤٠٧/٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)٤٨٢/١، تح: عبد الجليل عبده شلبي: عالم الكتب – بيروت- ط١(١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

ذلك من صلاحهم." [١] وأوافق هذا الرأي بالقول بعدم الزيادة في القرآن الكريم، ولتأكيد هذا القول يقول الرافعي:" ثم الكلماتُ التي يُظن أنها زائدة في القرآن كما يقول النحاة، فإن فيه من ذلك أحرفاً: كقوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)...، فإن النحاة يقولون إن " ما " فيها زائدة، أي في الإعراب، فيظن مَن لا بصرَ له أنها كذلك في النظم ويقيس عليه، مع أن في هذه الزيادة لوناً من التصوير لو...حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته، فإن المراد بالآية ...تصويرُ لين النبي – صلى الله عليه وسلم – لقومه، وإن ذلك رحمة من الله، فجاء هذا المد في " ما " وصفاً لفظياً يؤكد معنى اللين ويفخمه، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تُشعر بانعطاف وعناية لا يُبتدأ هذا المعنى بأحسن منهما في بلاغة السياق، ثم كان الفصل بين الباء الجارَّة ومجرورها (وهو لفظ رحمة) مما يلفت النفس إلى تدبر المعنى وينبه الفكر على قيمة الرحمة فيه، وذلك كله طبعي في بلاغة الآية كما ترى.[٢].

فالتعبير القرآني أتى بلفظ (ما) صلة، وليست زائدة؛ ليفيد وصفا لفظيا وهو جود الرحمة من الله للرسول، وللمؤمنين، وأكدت معنى اللين الذي حصل من النبي (صلى الله عليه وسلم)، وعظّمَتْه بوجود المد في (ما).، ثم إن قول الرافعي (مما يلفت النفس) يرسّخ أثر علم اللغة النفسي في فهم المعاني وتدبرها، وتأثير ذلك على النفس البشرية .

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لا بن عطية الأندلسي(ت ٥٤٢هـ) ٥٣٣/١، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد– دار الكتب العلمية – لبنان – ط١(١٤١٣هـ – ١٩٩٣م).

(٢) ينظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية١٥٩/١ بتصرف يسير.

الوحدة التركيبية الثانية (خبرية) (لِنْتَ لَهُمْ):

فالتعبير بلفظ الماضي في قوله تعالى (لنت لهم) للدلالة على أنه متحقق الوقوع؛ لأن القائل هو الله سبحانه وتعالى، وهذا التركيب مرتبط بما قبله، فبدون رحمة الله السابقة في الآية، – والتي كانت منه – سبحانه وتعالى – للرسول (صلى الله عليه وسلم) بأن جمع له الأخلاق العظيمة قائلا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤)، ومنها الرحمة، وللمؤمنين بأن ليّن لهم قلب الرسول (صلى الله عليه وسلم) فرحمهم، ولولا هذه الرحمة ما لان لهم النبي(صلى الله عليه وسلم)، والمعنى :" أَيْ: سَهُلَتْ لَهُمْ أَخْلَاقُكَ، وَكَثْرَةُ احْتِمَالِكَ، وَلَمْ تُسْرِعْ إِلَيهم بالغضب فِيمَا كَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ"(١).

الوحدة التركيبية الثالثة: (أسلوب شرط) (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ):

هذا التركيب وهو (ولو كنت فظا غليظ القب) جملة شرطية غير جازمة، جوابها (لانفضوا من حولك) أي أنك إذا كنت يا محمد سيئا في الخلق بأن كنت فظًا وشديدًا في القول أو عندك غلظة وقسوة في القلب جاء الجواب من الله سبحانه وتعالى بأنهم سيتفرقون من حولك، وهذا محال؛ لأنه مبعوث من عند الله – سبحانه وتعالى –، وفي هذا المعنى يقول الرازي: " إن المقصود من البعثة أن يبلغ الرسول تكاليف الله إلى الخلق، وهذا المقصود لا يتم إلا إذا مالت قلوبهم إليه وسكنت نفوسهم لديه، وهذا المقصود لا يتم إلا إذا كان رحيما كريما، يتجاوز عن ذنبهم، ويعفو عن إساءتهم، ويخصهم بوجوه البر والمكرمة والشفقة، فلهذه الأسباب وجب أن يكون الرسول مبرأ عن سوء

(١) معالم التنزيل لأبى محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦ هـ)٥٢٦/١، تح، تخ محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش – دار طيبة – ط٤ (١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م).

الخلق، وكما يكون كذلك وجب أن يكون غير غليظ القلب، بل يكون كثير الميل إلى إعانة الضعفاء، كثير القيام بإعانة الفقراء، كثير التجاوز عن سيئاتهم، كثير الصفح عن زلاتهم، فلهذا المعنى قال: ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولو انفضوا من حولك فات المقصود من البعثة والرسالة." [1] فالنفس البشرية لا تميل إلى النفس الأخرى إلا إذا كانت مائلة لها مطمئنة لوجودها، محبوبة لديها، وهذا ما دل عليه القول السابق للإمام الرازي (وسكنت نفوسهم لديه)، وفيه توظيف لعلم اللغة النفسي.

ويرد هنا سؤال لماذا نهى الله نبيه عن الغلظة هنا، وأمره بها في قوله تعالى (واغلظ عليهم)؟ وللإجابة عن هذا السؤال يقول الرازي:" أنه تعالى منعه من الغلظة في هذه الآية، وأمره بالغلظة في قوله: واغلظ عليهم فههنا نهاه عن الغلظة على المؤمنين، وهناك أمره بالغلظة مع الكافرين، فهو كقوله: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (المائدة:٥٤)، وقوله: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح:٢٩)، وتحقيق القول فيه أن طرفي الإفراط والتفريط مذمومان، والفضيلة في الوسط، فورود الأمر بالتغليظ تارة، وأخرى بالنهي عنه، إنما كان لأجل أن يتباعد عن الإفراط والتفريط، فيبقى على الوسط الذي هو الصراط المستقيم، فلهذا السر مدح الله الوسط فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:١٤٣)" [2].

الوحدة التركيبية الرابعة: (إنشائية: أسلوب أمر) (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ):

هذا التركيب جملة إنشائية (أسلوب أمر)، وهو أمر من الله سبحانه وتعالى لنبيه بثلاثة أمور، وهي العفو عن المؤمنين المخالفين، والاستغفار لهم

(١) مفاتيح الغيب ٤٠٧/٩.
(٢) السابق ٤٠٨/٩.

ومشاورتهم في الأمر، وفي هذا المعنى يقول ابن عطية:" أمر الله تعالى رسوله بهذه الأوامر التي هي بتدريج بليغ، وذلك أنه أمره بأن يعفو عليه السلام عنهم ما له في خاصته عليهم من تبعة وحق، فإذا صاروا في هذه الدرجة، أمره أن يستغفر لهم فيما لله عليهم من تبعة، فإذا صاروا في هذه الدرجة كانوا أهلا للاستشارة في الأمور." (١) ، وهذا التدريج الذي قال به ابن عطية له أثر نفسي على الصحابة فلما عفى النبي (صلى الله عليه وسلم) عنهم أسقط حقه، وفيه تطمين لهم، وإذا سقط حقه استغفر لهم فكمُل صفحه، وبذلك يرضى الله ورسوله عنهم، فيشاورهم؛ لأنهم أصبحوا أهلا لذلك وفي ذلك من المحبة ما فيه .

وعن حكمة تقديم بعض هذه الأفعال على بعض يقول أبو حيان: " أَمَرَ أَوَّلًا بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ، إِذْ عَفْوُهُ عَنْهُمْ مُسْقِطٌ لِحَقِّهِ، وَدَلِيلٌ على رضاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَعَدَمِ مُؤَاخَذَتِهِ. وَلَمَّا سَقَطَ حَقُّهُ بِعَفْوِهِ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ لِيَكْمُلَ لَهُمْ صَفْحُهُ وَصَفْحُ اللَّهِ عَنْهُمْ، ويحصل لهم رضاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِضَا اللَّهِ تَعَالَى. وَلَمَّا زَالَتْ عَنْهُمُ التَّبِعَاتُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ شَاوَرَهُمْ إِيذَانًا بِأَنَّهُمْ أَهْلٌ لِلْمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ وَالْخُلَّةِ النَّاصِحَةِ، إِذْ لَا يَسْتَشِيرُ الْإِنْسَانَ إِلَّا مَنْ كَانَ مُعْتَقِدًا فِيهِ الْمَوَدَّةَ وَالْعَقْلَ وَالتَّجْرِبَةَ"(٢).

فالتعبير القرآني فيه دلالة واضحة على يسر الدين الإسلامي " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ." (٣)، وعلى رحمة الله بعباده، ورحمة نبيه (صلى الله عيه وسلم)، فهؤلاء على الرغم من مخالفتهم للنبي (صلى الله عيه وسلم) أمر الله نبيه

(١) المحرر الوجيز ٥٣٤/١.
(٢) البحر المحيط٤٠٩/٣.
(٣) صحيح البخاري١٦/١- رقم الحديث٣٩.

بالعفو عنهم، ولم يقف عند ذلك بل أمره بالاستغفار لهم على ما فعلوه، ومشاورتهم؛ تطييبا لقلوبهم، وفي ذلك ترغيب للنفس البشرية بالعفو عن المسيء؛ لأن من عفا عفى الله عنه ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (الشورى: ٤٠)، وترغيبها أيضا في مبدأ الشورى الذي يعد مبدأ من مبادئ الإسلام فقال تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى:٣٨).

الوحدة التركيبية الخامسة: (خبرية، أسلوب الشرط) (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ):

بدأ التركيب بالفاء الفصيحة[١]؛" لأنها أفصحت عن شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أن المشاورة معهم عزيمةٌ عليك ليقتدي بك، وأردت بيان ما هو اللائق بك بعد المشاورة، والعزم على شيء فأقول لك {إِذَا عَزَمْتَ}"[٢] "فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ : أي ثق بالله مع ذلك، وفوض إليه جميع أمورك ....، وقد حث النبي (صلى الله عليه وسلم) أمته بما روي عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «شاوروا العلماء الصالحين فإذا عزمتم إلى إمضاء ذلك فتوكلوا على الله»[٣]"[٤].

---

(١) (الفاء الفصيحة: هي الدالة على محذوف قبلها، هو سبب لما بعدها. سميت فصيحة؛ لإفصاحها عما قبلها، وقيل : لأنها تدل على فصاحة المتكلم بها، فوصفت بالفصاحة على الإسناد المجازي) ينظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي(ت: ٧٧٣ه) ٥٩٧/١، تح: د/ عبدالحميد هنداوي- المكتبة العصرية – بيروت – لبنان، ط١(١٤٢٣ه=٢٠٠٣م).

(٢) حدائق الروح والريحان٢٤٨/٥.

(٣) بحثت عنها في كتب الأحاديث فلم أجدها.

(٤) ينظر تفسير التستري لأبي محمد سهل بن عبد الله التُستري (ت: ٢٨٣هـ)٥١/١، جم: أبو بكر محمد البلدي، تح: محمد باسل عيون السود- منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، ط١(١٤٢٣هـ).

ولتعليل تقديم المشاورة قبل التوكل يقول محي الدين درويش :" وقدم المشاورة للإشارة الى أن التوكل ليس يعني إهمال التدبير، وبيان أن الشورى من أفضل الأمور، وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافيا للأمر بالتوكل وتفويض الأمور لله تعالى." (١) فالتعبير القرآني فيه دلالة واضحة على الحث، والحض على التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب، ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة؛ لأن الخطاب موجه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، وفي هذا التوكل من الراحة النفسية ما لا يخفى على أحد .

الوحدة التركيبية السادسة: (خبرية: جملة إسمية) (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ):

في قوله تعالى (إن الله يحب المتوكلين) تأكيد بإن والجملة الاسمية، فأفادت ربط الجملة بما قبلها، وحثت النفس البشرية على التوكل على الله إذا عرفت أن الله –سبحانه وتعالى– يحب المتوكلين، وعن ربط الجملة يقول عبدالقاهر الجرجاني: "أنكَ ترى الجملةَ إذا هيَ دخلَتْ تَرتبِطُ بما قبْلَها وتأتلفُ معه وتَتَّحدُ به، حتى كأنَّ الكلامَيْنِ قد أُفرِغا إفراغاً واحداً، وكأَن أحدَهُما قد سُبِكَ في الآخَرِ"(٢).

وفي معنى حب الله للمتوكلين إشارات لطيفة كأن " يذيقهم برد الكفاية ليزول عنهم كل لغب ونصب، وإنه يعامل كلا بما يستوجبه فقوم يغنيهم– عند توكلهم– بعطائه، وآخرون يكفيهم– عند توكلهم– بلقائه، وقوم يرضيهم في عموم أحوالهم حتى يكتفون ببقائه." (٣)، فهذا التعبير القرآني:" حَثَّ عَلَى

---

(١) إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش (ت: ١٤٠٣هـ)٨٨/٢– دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دار ابن كثير– دمشق – بيروت)، ط٤ (١٤١٥هـ).

(٢) دلائل الإعجاز لأبى بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني (ت:٤٧١هـ) ٣١٦/١، تح د. محمد التنجي– دار الكتاب العربي – بيروت– ط١ (١٩٩٥).

(٣) لطائف الإشارات = تفسير القشيري للإمام القشيري (ت: ٤٦٥هـ)٢٩١/١، تح: إبراهيم البسيوني–الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر– ط٣.

التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، إِذْ أَخْبَرَ أَنَّهُ يُحِبُّ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَالْمَرْءُ سَاعٍ فِيمَا يُحَصِّلُ لَهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى." (١)، فحب الله للمتوكلين يؤثر في النفس البشرية، ويحثها على تنفيذ أوامره – عز وجل– بكل رضًا واطمئنان؛ لأن الله إذا أحب عبدا سخر له من في السماوات والأرض قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ"(٢).

تعقيب:

بعد هذا العرض **لمبحث الرحمة واللين في الدعوة إلى الله وهي آية واحدة،** فقد تآلفت الوحدات الصوتية، وإيحاءاتها، والوحدات الصرفية، وصيغها، والوحدات التركيبية، وأساليبها، ثم ختمت هذه الآية بأعظم ختام وهو التحبب إلى المسلم المتوكل على الله حق توكله بأن أخذ بالأسباب ثم ترك الخواتيم لمسبب الأسباب – وكان لذلك الختام أعظم الأثر في نفوس المتلقين؛ ولذلك ينبغي على الدعاة إلى الله أن يتصفوا بهذا الخلق الكريم، وهو الرحمة؛ ليلتف الناس حولهم وينصتوا لكلامهم، فيكون ذلك طريقا للهداية، فقد قال ابن القيم:" فَلَيْسَ لِلْقَلْبِ أَنْفَعُ مِنْ مُعَامَلَةِ النَّاسِ بِاللُّطْفِ. فَإِنَّ مُعَامَلَةَ النَّاسِ بِذَلِكَ: إِمَّا أَجْنَبِيٌّ. فَتَكْسِبُ مَوَدَّتَهُ وَمَحَبَّتَهُ، وَإِمَّا صَاحِبٌ وَحَبِيبٌ فَتَسْتَدِيمُ صُحْبَتَهُ وَمَوَدَّتَهُ. وَإِمَّا عَدُوٌّ وَمُبْغِضٌ. فَتُطْفِئُ بِلُطْفِكَ جَمْرَتَهُ. وَتَسْتَكْفِي شَرَّهُ. وَيَكُونُ احْتِمَالُكَ لِمَضَضِ لُطْفِكَ بِهِ دُونَ احْتِمَالِكَ لِضَرَرِ مَا يَنَالُكَ مِنَ الْغِلْظَةِ عَلَيْهِ وَالْعُنْفِ بِهِ.." (٣) فالمعاملة بالتلطف، والبعد عن الفظاظة والغلظة من

---

(١) البحر المحيط٣/٤١٠.

(٢) صحيح البخاري٩/١٤٢– رقم الحديث٧٤٨٥.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ٢/٤٧٨ – دار لكتاب العربي بيروت/ ط٢(١٣٩٣هـ).

الطرق المؤدية إلى الاهتداء للداعية، وكل ذلك يعد ظواهر لغوية أظهرت لنا حقائق نفسية تتعلق بالرسول (صلى الله عيه وسلم)، وبالمجتمع الذي عاش فيه، يقول د/ عبدالغفار هلال:" أدرك علماء النفس أن الظواهر اللغوية تكشف عن حقائق نفسية تتعلق بحياة الأفراد والشعوب، فهي المعبر عن خلجات نفوسهم، وهي المرآة التي ينعكس عليها تاريخهم النفسي والمؤثرات عليه ."[١]، وهذا من سمات النص القرآني، فلا يجد صاحب العقل والبصيرة مجالا للشك فيه.

(١) علم اللغة بين القديم والحديث د/ عبدالغفار هلال ١١١- ط٤(١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م)

المبحث الثاني

الحرص على مصلحة المدعوين، والاهتمام بهم

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة : ١٢٨)

أولاً: سبب نزول الآية:

أوضح ما قيل في ذلك:" كَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ سُورَةَ شِدَّةٍ وَغِلْظَةٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمِنَ الأَعْرَابِ، وَأَمْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْجِهَادِ، وَإِنْحَاءً عَلَى الْمُقَصِّرِينَ فِي شَأْنِهِ، وَتَخَلَّلَ ذَلِكَ تَنْوِيهٌ بِالْمُتَّصِفِينَ بِضِدِّ ذَلِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَالَّذِينَ نَصَرُوا وَاتَّبَعُوا الرَّسُولَ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ، فَجَاءَتْ خَاتِمَةُ هَذِهِ السُّورَةِ آيَتَيْنِ بِتَذْكِيرِهِمْ بِالْمِنَّةِ بِبِعْثَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّنْوِيهِ بِصِفَاتِهِ الْجَامِعَةِ لِلْكَمَالِ" (١).

ثانيًا: معنى الآية الكريمة :

يقول الشيخ المراغي :" لما أمر الله رسوله في هذه السورة أن يبلغ الخلق تكاليف شاقة يعسر تحملها إلا على من خصّ بوجوه التوفيق والكرامة- ختمها بما يوجب تحملهم تلك التكاليف فبيّن أن هذا الرسول منهم، فما يحصل له من عز وشرف فهو عائد إليهم إلى أنه يشقّ عليه ضررهم، وتعظم رغبته في إيصال خيرى الدنيا والآخرة إليهم فهو كالطبيب المشفق والأب الرحيم عليهم، والطبيب الحاذق ربما أقدم على علاج يصعب تحمله، والأب الرحيم ربما ركن إلى ضروب من التأديب يشق على النفس احتمالها" (٢).

---

(١) التحرير والتنوير ٧٠/١١.

(٢) تفسير المراغي للإمام المراغي (ت: ١٣٧١هـ)٥٤/١١- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر- ط١(١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

ثالثًا: مناسبة الآية الكريمة للمقصد العام للسورة:

ذكر البقاعي أن مقصد سورة التوبة : " معاداة من أعرض عما دعت إليه السور الماضية، من اتباع الداعي إلى الله في توحيده، واتباع ما يرضيه، ومولاة من أقبل عليه، وأدل ما فيها على الإبلاغ في هذا المقصد: قصة المخلفين، فإنهم –لاعترافهم بالتخلف عن الداعي بغير عذر في غزوة تبوك المحتمل على وجه بعيد منهم رضي الله عنهم للإعراض بالقلب – هجروا وأعرض عنهم بكل اعتبار، حتى بالكلام، حتى بالسلام، إلى أن تيب عليهم، فذلك معنى تسميتها بالتوبة"(١).

فلما كان مقصد السورة الكريمة معاداة من أعرض عن الله ورسوله، ومولاة من أقبل عليه ناسب هذا المقصد هذه الآية الكريمة بأن من ولي الله ورسوله فقد بعث إليهم رسولا من جنسهم ونسبهم متصفا بكل الأوصاف الجميلة بأنه يعز عليه وقوعهم في العذاب، حريص على هداهم، رؤوف بهم رحيم بغيرهم من المشركين. كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ (يوسف:١٠٣)، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأَنْبِيَاء: ١٠٧).

رابعًا: تأثير الوحدات اللغوية، وأثرها على المتلقي:

المطلب الأول: الوحدات الصوتية ودلالتها:

أنفسكم:

تدور مادة (ن ف س) حول المعاني الآتية : " النَّفْس، وجمعها النُّفُوس: لها معان. النَّفسُ: الرّوح الذّي به حياة الجسد، وكلّ إنسانٍ نَفْسٌ حتّى آدم عليه السّلام، الذَّكَرُ والأنثى سواء. وكلُّ شيءٍ بعينه نَفْسٌ" (٢).

---

(١) مصاعد النظر للبقاعي ٢/١٥٣-١٥٤.

(٢) كتاب العين (ن ف س)٧/٢٧٠.

فبالنظر والتأمل في معنى النفس نجد أنها الروح فلا يقوم الجسد ولا يؤدي دوره إلا بهذه الروح، وذلك عام في كل إنسان من لدن آدم (عليه السلام) إلى قيام الساعة، فلم نسمع عن نفّس بدون روح.

أصوات الكلمة القرآنية وإيحاءاتها الدلالية:

لو نظرنا إلى أصوات مادة (ن ف س) فنجد أنها تكاتفت وتعاضدت بمخارجها وصفاتها مع دلالتها، فلو نظرنا إلى أصوات مادة (ن ف س) لوجدناها تبدأ بحرف النون المجهور الذي أشبع الاعتماد في موضعه، وذلك يمثله الروح دون الجسد فكأنها جزء من شيء وليس كله فيتناسب مع الفاء المهموسة التي تمثل النفَس الذي يجري داخل الإنسان فيكون سببا في حياته ثم يأتي حرف السين الصفيري الذي يظهر الاثنين معا الروح، والنفَس فيكتمل الجسد، وأيضا كل البشر ترجع إلى نفس واحدة؛ لأنهم من أب واحد، وهو آدم – عليه السلام– ، وهذا معنى قوله (صلى الله عليه وسلم) في الحديث عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ" [(١)]، ويعيننا على هذا التشبيه الحكم التجويدي الوارد في كلمة (أنفسكم)، وهو الإخفاء وكأنه يشير إلى أن النفْس شيء خفي لا يعرفه أحد، ويزيدنا تأكيدا أن النفس، والروح أعز شيء في الإنسان القراءة الأخرى لكلمة (أنفسكم) بفتح الفاء أي من أشرفكم وأعزكم .

عنتم:

تدور مادة هذه الكلمة (ع ن ت) حول المعاني الآتية:" العَنْتُ: الإثمُ. وقد عَنِتَ الرجل. وقال تعالى: (عزيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ)[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري ١٠٣/١– رقم الحديث ٤٨١.

(٢) الصحاح(ع ن ت) ٢٥٨/١.

وقيل: " العنت في اللغة المشقة الشديدة، والعنت الوقوع في أمر شاق، وقد عنت، وأعنته غيره"(١).

ويدل على ذلك قول ابن فارس : " الْعَيْنُ وَالنُّونُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَشَقَّةٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةٍ وَلَا سُهُولَةٍ. (٢).

فبالنظر والتأمل في مادة (عنت) نلحظ أن العنت اسم جامع لكل مشقة وشدة سواء أكانت ذنبا أم غيره، ولكنها خصصت في هذه الآية التي بين أيدينا بالذنب (الكفر).

أصوات الكلمة القرآنية وإيحاءاتها الدلالية:

إذا نظرنا إلى أصوات هذه الكلمة لوجدنا تلائما وتناسبا بين هذه الأصوات ودلالتها فجاء حرف العين وهو الأول في الكلمة الذي يخرج من أول المخارج وهو " أوسط الحلق"(٣)، ليدل على بداية المشقة والتعب، وهو عدم سماعهم كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ثم انتقل إلى حرف النون المجهور الذي " أشبع الاعتماد في موضعه"(٤)، وكأن هذه المشقة استوت على عودها فهلكوا بالكفر، ثم ختمت الكلمة بحرف شديد، وهو التاء؛ ليدل على أن هذا العنت(الكفر) الذي وصلوا إليه سيجعلهم في شدة وتعب في الدنيا بالقتل، وفي الآخرة بالوعيد الذي ينتظرهم، وهذا أيضا ما شق على الرسول (صلى الله عليه وسلم)؛ لأنه داعية، والداعية يتألم لما يتألم له المدعوين، ويحزن لما يحزنهم، ويدفع عنهم المكاره "وأولى المكاره بالدفع مكروه عقاب الله تعالى،

---

(١) لسان العرب(ع ن ت)٢/٦٢.

(٢) مقاييس اللغة (ع ن ت)٤/١٥٠ .

(٣) الكتاب٤/٤٣٣.

(٤)السابق ٤/٤٣٤، وينظر دراسات صوتية في التجويد والأصوات اللغوية في ضوء الدرس اللغوي الحديث أ. د/ عبدالفتاح أبو الفتوح، أ. د/ زينب أحمد أبو النجا ٨٠– مطبعة الحصري .

وهو إنما أرسل ليدفع هذا المكروه." [١] "وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الشُّعَرَاء: ٣)، وَذُكِرَ هَذَا فِي صِفَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلامُ يُفِيدُ أَنَّ هَذَا خُلُقٌ لَهُ فَيَكُونُ أَثَرُ ظُهُورِهِ الرِّفْقَ بِالأُمَّةِ وَالْحَذَرَ مِمَّا يُلْقِي بِهِمْ إِلَى الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمِنْ آثَارِ ذَلِكَ شَفَاعَتُهُ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ فِي الْمَوْقِفِ لِتَعْجِيلِ الْحِسَابِ. ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ يومئ إِلَى أَنَّ شَرْعَهُ جَاءَ مُنَاسِبًا لِخُلُقِهِ فَانْتَفَى عَنْهُ الْحَرَجُ وَالْعُسْرُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (الْبَقَرَة: ١٨٥) وَقَالَ: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الْحَج: ٧٨)"[٢]، وفي هذا الخلق محاكاة للحالة النفسية، وتأثيرها في نفوس المدعوين فعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: "الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ"[٣].

فهذا الموقف دليل على عظمة رسول الله ورفقه بأمته، وهذه من السمات التي لا بد أن تتوافر في كل داعية إلى الله – عز وجل – حتى يؤثر في نفوس المدعوين.

المطلب الثاني: الوحدات الصرفية(المورفيمات) ودلالتها:

صيغ المبالغة:

"هي أسماء تُشتق من الأفعال للدلالة على معنى اسم الفاعل بقصد المبالغة"[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب١٦/١٧٨.

(٢) التحرير والتنوير١١/٧٢.

(٣) صحيح البخاري٢/٩٤- رقم الحديث١٣٥٦.

(٤) مقصوصات صرفية ونحوية ١/٨.

وورد منها في الآية الكريمة

صيغة فعول في:(رسول):

"ومَعْناهُ فِي اللُّغَةِ: الَّذِي يُتابِعُ أَخْبارَ الَّذِي بَعَثَهُ أَخْذاً مِنْ قَوْلِهم: جاءَتِ الإِبِلُ رَسْلاً، أَي مُتَابِعَةً. ج أَرْسُلٌ، بِضَمِّ السِّينِ، هُوَ جَمْعُ الرَّسُولِ" (١).

فقد قال بعض العلماء (الرَّسُولُ) معناه الرِّسَالَةُ." (٢)، ومنهم من قال أن معناه الرِّسالةُ والمُرْسَلُ." (٣) أي أن فعول بمعنى مفعول، ويؤيده الفيومي قائلا: "رَسُولًا بَعَثْتُهُ بِرِسَالَةٍ يُؤَدِّيهَا فَهُوَ فَعُولٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ لِلْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ وَالْمُثَنَّى وَالْمَجْمُوعِ وَيَجُوزُ التَّثْنِيَةُ وَالْجَمْعُ فَيَجْمَعُ عَلَى رُسُلٍ" (٤).

فالتعبير القرآني يدل على أن التعبير بصيغة المبالغة (فعول) له أثر عظيم على نفوس المدعوين؛ لأنه " لما كان الرسول يجب إكرامه والوقوف في خدمته لأجل مرسله ولو تجرد عن غير ذلك الوصف، شرع يذكر لهم من أوصافه ما يقتضي لهم مزيد إكرامه فقال:(من أنفسكم)" (٥)، فله أوصاف كثيرة وهذا هو مقصود المبالغة .

---

(١) تاج العروس(ر س ل) ٧٣/٢٩.

(٢) ينظر العين (ر س ل) ٢٤١/٧، وينظر مختار الصحاح للإمام الرازي (ت٦٦٦هـ) (ر س ل) ١٢٢/١. – تح: محمود خاطر– مكتبة لبنان ناشرون بيروت– ط ج (١٤١٥=١٩٩٥).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده [ت: ٤٥٨هـ] (ر س ل) ٤٧٣/٨، تح: عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية – بيروت– ط١(١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م).

(٤) المصباح المنير(ر س ل)٢٢٦/١.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإمام البقاعي(ت٨٨٥ه)٤٠٧/٣، تح: عبد الرزاق غالب المهدي: دار الكتب العلمية – بيروت ،(١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م.)

وصيغة فعيل في عزيز:

معناها في اللغة:" (الْعِزُّ) ضِدُّ الذُّلِّ تَقُولُ مِنْهُ: (عَزَّ) (يَعِزُّ) عِزًّا بِكَسْرِ الْعَيْنِ فِيهِمَا وَ (عَزَازَةً) بِالْفَتْحِ، فَهُوَ (عَزِيزٌ) أَيْ قَوِيٌّ بَعْدَ ذِلَّةٍ." [١] ، و" عزَّ الأمرُ عليه: قوِي واشتدّ عليه " {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ}. "[٢].

ومعناه:" العزيز هو الغالب الشديد، والعزة هي الغلبة والشدة. فإذا وصلت مشقة إلى الإنسان عرف أنه كان عاجزا عن دفعها إذ لو قدر على دفعها لما قصر في ذلك الدفع، فحيث لم يدفعها، علم أنه كان عاجزا عن دفعها، وأنها كانت غالبة على الإنسان. فلهذا السبب إذا اشتد على الإنسان شيء قال: عز علي هذا." [٣]، وقيل:" امتناع الشيء بما يتعذر معه ما يحاول منه بالقدرة أو بالقلة أو بالصعوبة." [٤] ، وهذا ما حدث من النبي (صلى الله عليه وسلم) من أنه صعُب عليه دخول قومه في الكفر ويزيد ذلك المعنى تأكيدا أنه عدي بعلى فدل على الثقل والشدة على النفس، ولكنه مع كل ذلك لا يملك من أمرهم شيئا فالله تعالى يقول: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ (القصص: ٥٦).

– حريص:

معناها في اللغة:" حَرَص يَحرِص حِرْصاً فهو حَريص عليك: أي على نفعك." [٥]، و:"حرِصَ على الرَّجل: حرَص، أشفق عليه ورغب في نفعه وهدايته "{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ}"[٦].

---

(١) مختار الصحاح (ع ز ز)٢٠٧/١.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت:١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل١٤٩٢/٢– عالم الكتب– ط١(١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م).

(٣) مفاتيح الغيب١٧٨/١٦.

(٤) نظم الدرر٥٦/٩.

(٥) العين (ح ر ص)١١٦/٣

(٦) معجم اللغة العربية٤٧٣/١.

ومعناها: "حريص على إيصال الخيرات إليكم في الدنيا والآخرة. فالحرص يمتنع أن يكون متعلقا بذواتهم. قال الفراء: الحريص الشحيح، ومعناه: أنه شحيح عليكم أن تدخلوا النار، وهذا بعيد، لأنه يوجب الخلو عن الفائدة." (١).

فالتعبير القرآني بصيغة (فعيل) له أثر عظيم في نفس المدعوين فالنبي (صلى الله عليه وسلم) شديد عليه دخولهم في الكفر مشفق عليهم راغب في نفعهم وهدايتهم إلى الإسلام، " وإيثار صيغة (فعيل)؛ لأنها لا تدل على الحدوث بقدر ما تدل على تأصل الصفة في صاحبها (صلى الله عليه وسلم)، وهي هنا (عزيز، حريص)، ولما كان المعنى المقصود في تلك الآية هي صفة المُجيء لا حدث المَجيء؛ لذا اختارت الآية صيغة (فعيل) التي توحي بثبات الصفة وتأصلها أكثر من إيحائها بمعنى الحدث"(٢).

– رؤوف رحيم:

وهما من صيغ المبالغة، ومعناهم في اللغة :" الرّأفة: الرَّحْمَةُ، وقد رَؤُفَ يَرْؤُفُ رأفة، ويُقالُ: رَأَفَ يَرْأَفُ، فهو رَأْفٌ ورؤوفٌ." (٣)، و" الرحمَةُ: الرقة. والرحمَةُ الْمَغْفِرَة"(٤).

ويقول الراغب الأصفهاني :" الرَّحْمَةُ رقّة تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُومِ، وقد تستعمل تارة في الرّقّة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرّقّة، نحو: رَحِمَ الله فلانا. وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلّا الإحسان المجرّد

---

(١) مفاتيح الغيب١٦/١٧٨.

(٢) ينظر الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية – التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، د/ عبدالحميد هنداوي ١٠٧،المكتبة العصرية– بيروت (٢٠٠٨م =١٤٢٩هـ) بتصرف يسير.

(٣) العين (رأ ف)٨/٢٨٢.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم (ر ح م) ٣/٣٣٦.

دون الرّقّة، وعلى هذا روي أنّ الرَّحْمَةَ من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميّين رقّة وتعطّف"(١).

وفرَّق العسكري بين الرأفة والرحمة قائلا :" أَن الرأفة أبلغ من الرَّحْمَة وَلِهَذَا قَالَ أَبُو عُبَيْدَة إِن قَوْله (رؤوف رَحِيم) تَقْدِيمًا وتأخيرا أَرَادَ أَن التوكيد يكون فِي الأبلغ فِي الْمَعْنى فَإِذا تقدم الأبلغ فِي اللَّفْظ كَانَ الْمَعْنى مُؤَخرا"(٢).

ومعناها في الآية التي بين أيدينا :" الظَّاهِرُ تَعَلُّقُ الصِّفَتَيْنِ بِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَ قَوْمٌ: بِالتَّوْزِيعِ، رؤوف بِالْمُطِيعِينَ، رَحِيمٌ بِالْمُذْنِبِينَ. وَقِيلَ: رؤوف بِمَنْ رَآهُ، رَحِيمٌ بِمَنْ لم يره. وقيل: رؤوف بِأَقْرِبَائِهِ، رَحِيمٌ بِغَيْرِهِمْ. وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ الْفَضْلِ: لَمْ يَجْمَعِ اللَّهُ لِنَبِيٍّ بَيْنَ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ إِلَّا لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ قَالَ: بِالْمُؤْمِنِينَ رؤوف رَحِيمٌ"(٣).

ولعله يرد هاهنا سؤالان؟ "السؤال الأول: كيف يكون كذلك، وقد كلفهم في هذه السورة بأنواع من التكاليف الشاقة التي لا يقدر على تحملها إلا الموفق من عند الله تعالى؟ قلنا: قد ضربنا لهذا المعنى مثل الطبيب الحاذق والأب المشفق، والمعنى: أنه إنما فعل بهم ذلك ليتخلصوا من العقاب المؤبد، ويفوزوا بالثواب المؤبد.

السؤال الثاني: لما قال: عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم فهذا النسق يوجب أن يقال: رؤوف رحيم بالمؤمنين، فلم ترك هذا النسق وقال: بالمؤمنين رؤف رحيم.

---

(١) المفردات في غريب القرآن للعلامة الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)١/٣٧٤، تح: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت– ط١(١٤١٢ ه) .

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)١/١٩٦، تح، تع: محمد إبراهيم سليم– دار العلم والثقافة، القاهرة – مصر.

(٣) البحر المحيط٥/٥٣٤.

الجواب: أن قوله: بالمؤمنين رؤف رحيم يفيد الحصر بمعنى أنه لا رأفة ولا رحمة له إلا بالمؤمنين. فأما الكافرون فليس له عليهم رأفة ورحمة، وهذا كالمتمم لقدر ما ورد في هذه السورة من التغليظ كأنه يقول: إني وإن بالغت في هذه السورة في التغليظ إلا أن ذلك التغليظ على الكافرين والمنافقين. وأما رحمتي ورأفتي فمخصوصة بالمؤمنين فقط، فلهذه الدقيقة عدل على ذلك النسق"[(١)]، ومع كام تقديري لشيخي الرازي إلا أنني أرى والله أعلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان رحيما بجميع الخلق؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأَنْبِيَاء: ١٠٧).

فالتعبير القرآني بهذين اللفظين له أثر بالغ في نفوس المدعوين ؛لأن الداعية لا بد أن يتوفر لديه كل الصفات الحسنة بما فيها الرأفة، والرقة، والرحمة، والتعطف وكل ذلك في خلق الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) فلم يجمع الله لنبي من الأنبياء اسمين من أسمائه – سبحانه وتعالى إلا للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهذا شرف وتكريم من الله سبحانه وتعالى لنبيه

المطلب الثالث: الوحدات النحوية (التركيبية) ودلالتها:

الوحدة التركيبية الأولى(خبرية) (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ):

فقد افتتحت هذه الجملة بمؤكدين هما اللام، و(قد) " وَافْتِتَاحُهَا بِحَرْفَيِ التَّأْكِيدِ وَهُمَا اللَّامُ وَ (قَدْ) مَعَ كَوْنِ مَضْمُونِهَا مِمَّا لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الإِنْكَارُ لِقَصْدِ الِاهْتِمَامِ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ لأَهَمِّيَّةِ الْغَرَضِ الَّذِي سِيقَتْ لأَجْلِهِ"[(٢)]

وقد ساق القرآن الكريم آيات أخرى لم تؤكد بهذه المؤكدات مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا ﴾ (المائدة:١٥)، وقوله:

(١) مفاتيح الغيب ١٦/١٧٨-١٧٩.
(٢) التحرير والتنوير ١١/٧١.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَـٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ (النساء: ١٧٤) " فَمَا زِيدَتِ الْجُمْلَةُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مُؤَكِّدَةً إِلَّا لِغَرَضٍ أَهَمَّ مِنْ إِزَالَةِ الإِنْكَارِ" (١)؛ "لأَنَّ فِي هَذَا التَّأْكِيدِ تَسْجِيلًا عَلَيْهِمْ مُرَادًا بِهِ الإِيمَاءُ إِلَى اقْتِرَابِ الرَّحِيلِ، لأَنَّهُ لَمَّا أُعِيدَ الإِخْبَارُ بِمَجِيئِهِ وَهُوَ حَاصِلٌ مُنْذُ أَعْوَامٍ طَوِيلَةٍ كَانَ ذَلِكَ كِنَايَةً عَنِ اقْتِرَابِ انْتِهَائِهِ، وَهُوَ تَسْجِيلٌ مِنْهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَإِيدَاعٌ لِلْمُنَافِقِينَ وَمَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (٢).

الوحدة التركيبية الثانية(خبرية): (مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ):

فقد قال البعض بأن (ما) مصدرية، وبعضهم قال بأنها بمعنى (الذي).

فمن قال أنها مصدرية "فِي مَوْضِعِ الفاعل بعزيز أَيْ: يَعِزُّ عَلَيْهِ مَشَقَّتُكُمْ"(٣).

ومن قال أنها بمعنى (الذي) أي " الذي عنتُّمُوهُ، أي: عنتُهم يُسيئه، فحذف العائد على التدرج"(٤)، " وعلى كلا التقديرين فهي ومدخولها أي هي وصلتها فاعل عزيز الذي هو صفة مشبهة"(٥).

وفي معنى المصدرية نكتة بلاغية :" وَهِيَ إِفَادَةُ أَنَّهُ قَدْ عَزَّ عَلَيْهِ عَنَتُهُمُ الْحَاصِلُ فِي الزَّمَنِ الَّذِي مَضَى، وَذَلِكَ بِمَا لَقُوهُ مِنْ قَتْلِ قَوْمِهِمْ، وَمِنَ الْأَسْرِ فِي الْغَزَوَاتِ، وَمِنْ قَوَارِعِ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ فِي الْقُرْآنِ. "(٦)

---

(١) التحرير والتنوير ٧١/١١

(٢) السابق نفسه.

(٣) البحر المحيط ٥٣٣/٥.

(٤) اللباب لا بن عادل الحنبلي الدمشقي(ت٨٨٠هـ) ٢٤٨/١٠، تح: الشيخ عادل عبد الموجود، والشيخ علي معوض- دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان- ط١ (١٤١٩هـ =١٩٩٨م).

(٥) إعراب القرآن وبيانه١٩٩/٤.

(٦) التحرير والتنوير ٧٢/١١.

تعقيب:

اتضح من الخطاب الدعوي:

١- أن آية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) بدئت بوحدة تركيبية مؤكدة بأداتين هما اللام، وقد؛ لقصد الاهتمام بهذه الجملة فينتبه الجميع لما سيأتي بعد ذلك.

٢- الوحدات الصوتية تكاتفت بمخارجها وأصواتها وصفاتها؛ لتوضح لنا أن النفس شيء خفي، وأنها أعز شيء في الإنسان، وعضّد ذلك الحكم التجويدي الوارد في كلمة (أنفسكم)، وأيضا القراءة الأخرى لهذه الكلمة.

٣- التأثير الدعوي للداعية، وذلك بأن لا يكون الداعية بمنأى عن المشاكل المجتمعية لدى المدعوين، وذلك من خلال النقاط التالية:- التيسير على المدعوين وعدم التشديد عليهم، أو تكليفهم بما لا يطيقون فقال تعالى: (عزيز عليه ما عنتم)

٤- الرأفة والرحمة بالمدعوين، فلا يكون حريصا على مصلحتهم إلا إذا كان رؤوفا رحيما بهم فقال:" بالمؤمنين رؤوف رحيم"، وانطلاقا من هذه الآيات فلا بد أن يتخذ الدعاة منهجا في الرفق بالمدعوين، والتيسير عليهم فقد قالت عائشة – رضي الله عنها- "مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا"(١).

٥- إيثار صيغة فعيل، وقد ذكرت ثلاث مرات في هذه الآية؛ لأنها توحي بثبات الصفات، وتأصلها أكثر من الحدث، وهذا أمر مؤكد في حقه – صلى الله عليه وسلم- .

٦- ختمت الآية بصفتين عظيمتين للرسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وهي الرأفة والرحمة فهو النبي الوحيد الذي جمع الله له هاتين الصفتين .

---

(١) صحيح البخاري٤/١٨٩- رقم الحديث٣٥٦٠.

المبحث الثالث

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥).

أولاً: سبب نزول الآية:

" أَطْبَقَ جُمْهُورُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ مَدَنِيَّةٌ، نَزَلَتْ فِي شَأْنِ التَّمْثِيلِ بِحَمْزَةَ فِي يَوْمِ أُحُدٍ، وَوَقَعَ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَفِي كِتَابِ السِّيَرِ. وَذَهَبَ النَّحَّاسُ إِلَى أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، وَالْمَعْنَى مُتَّصِلٌ بِمَا قَبْلَهَا مِنَ الْمَكِّيِّ اتِّصَالًا حَسَنًا، لأَنَّهَا تَتَدَرَّجُ الرُّتَبُ مِنَ الَّذِي يُدْعَى وَيُوعَظُ، إِلَى الَّذِي يُجَادِلُ، إِلَى الَّذِي يُجَازَى عَلَى فِعْلِهِ. وَلَكِنْ مَا رَوَى الْجُمْهُورُ أَثْبَتُ، رَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ قَتْلَى أُحُدٍ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى مَنْظَرًا سَاءَهُ، رَأَى حَمْزَةَ قَدْ شُقَّ بَطْنُهُ، وَاصْطُلِمَ أَنْفُهُ، وَجُدِعَتْ أُذُنَاهُ، فَقَالَ:" لَوْلَا أَنْ يَحْزَنَ النِّسَاءُ أَوْ تَكُونَ سُنَّةً بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ بُطُونِ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ لَأُمَثِّلَنَّ مَكَانَهُ بِسَبْعِينَ رَجُلًا" ثُمَّ دَعَا بِبُرْدَةٍ وَغَطَّى بِهَا وَجْهَهُ، فَخَرَجَتْ رِجْلَاهُ فَغَطَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهَهُ وَجَعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الإِذْخِرِ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَكَبَّرَ عَلَيْهِ عَشْرًا، ثُمَّ جَعَلَ يُجَاءُ بِالرَّجُلِ فَيُوضَعُ وَحَمْزَةُ مَكَانَهُ، حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعِينَ صَلَاةً، وَكَانَ الْقَتْلَى سَبْعِينَ، فَلَمَّا دُفِنُوا وَفَرَغَ مِنْهُمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:" ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ– إِلَى قَوْلِهِ– وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ" فَصَبَرَ. رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُمَثِّلْ بِأَحَدٍ" (١).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي للإمام شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)١٠/٢٠١، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة– ط٢ (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م)، وينظر سنن الدارقطني لأبي الحسن علي=

ثانيًا: معنى الآية الكريمة:

يقول البيضاوي أي:" ادْعُ من بعثت إليهم. إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ إلى الإسلام. بِالْحِكْمَةِ بالمقالة المحكمة، وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة. وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ الخطابات المقنعة والعبر النافعة، فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم. وَجادِلْهُمْ وجادل معانديهم. بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر، والمقدمات التي هي أشهر فإن ذلك أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ أي إنما عليك البلاغ والدعوة، وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا إليك بل الله أعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم"(١).

ثالثًا: مناسبة الآية الكريمة للمقصد العام للسورة:

ذكر البقاعي أن مقصد سورة النحل:" الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم، فاعل بالاختيار منزه عن شوائب النقص." (٢)

فلما كان مقصد السورة الكريم الإيمان بأن الله تعالى تام القدرة والعلم فكان لا بد من الداعي لهذا الإله، وناسب ذلك أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالدعوة إليه (سبحانه وتعالى)، ثم بيّن الأسس التي تنبني عليها دعوته، وهي الحكمة والموعظة الحسنة، ثم تدرج إلى المنكرين فقال وجادلهم بالتي هي أحسن، وترك الباقي على الله فهو الذي يعلم الضال والمهتدي.

=البغدادي الدار قطني (ت: ٣٨٥هـ)٢٠٧/٥، تح، ضبط، تع: شعيب الأرناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم –مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١(١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م).

(١) تفسير البيضاوي٢٤٥/٣.

(٢) مصاعد النظر٢١٣/٢.

رابعًا: تأثير الوحدات اللغوية، وأثرها على المتلقي:

المطلب الأول: الوحدات الصوتية ودلالتها:

بالحكمة:

تدور معاني هذه المادة حول:" حكم: الحِكمةُ: مَرْجِعُها إلى العَدْل والعِلْم والحِلْم. ويقال: أحْكَمَتْه التَجارِبُ إذا كانَ حكيماً"(١) "وَصَاحِبُ الْحِكْمَةِ. وَالْحَكِيمُ أَيْضًا الْمُتْقِنُ لِلْأُمُورِ، وَقَدْ (حَكُمَ) مِنْ بَابِ ظَرُفَ أَيْ صَارَ حَكِيمًا" (٢).

فبالنظر والتأمل في المعنى اللغوي للحكمة لوجدنا أن الداعية وهو صاحب الحكمة لا بد أن يكون متقنا للأمور وبدوره يكون عنده عدل ثم علم ثم حلم يوصله إلى غايته.

أصوات الكلمة القرآنية وإيحاءاتها الدلالية:

لو نظرنا إلى أصوات مادة (ح ك م) لوجدنا أنها تكاتفت وتعاضدت بمخارجها وأصواتها مع دلالتها، فإذا نظرنا إلى هذه المادة لوجدناها تبدأ بحرف الحاء الذي يخرج " من أوسط الحلق، ثم حرف الكاف الذي يخرج من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى، ثم حرف الميم الذي يخرج مما بين الشفتين"(٣) ، وكأن حرف الحاء يمثل العدل الذي هو أول مراحل الحكمة، ويتناسب مع أول المخارج وهو الحلق الذي يخرج منه الحاء، ثم حرف الكاف الذي يمثل المرحلة الثانية من مراحل الحكمة وهي العلم، وكأنه أيضا يتناسب مع المخرج الثاني وهو اللسان الذي يخرج منه الكاف، ثم حرف الميم الذي يمثل المرحلة الثالثة من مراحل الحكمة وهي الحلم، وكأنه أيضا يتناسب مع مخرج الشفتين الذي يخرج منه

---

(١) كتاب العين (ح ك م)٣/٦٦.

(٢) مختار الصحاح(ح ك م)١/٧٨.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٣.

الميم، وهو آخر المخارج، وفي النهاية نرى أن هذه الكلمة (حكم) أخذت المخارج الثلاث جميعا؛ لتبين لنا أن الحكمة متضمنة جميع أساليب الدعوة، فالداعية لا بد أن يكون عنده إنصاف وعلم، وحلم لكي يصدقه المدعوين، فبهم جميعا تكون الدعوة إلى الله، ولعل ما يؤكد تشبيهنا هي صفة الانفتاح المتمثلة في الحروف الثلاثة (ح، ك، م)، وهو " عدم إلصاق اللسان بالحنك الأعلى عند النطق بحروفه"(١)، فكأن الداعي عندما يكون حكيما في دعوته يضع الشيء في موضعه، ويختار ما يناسب المدعوين، مع الوقت المناسب أيضا، فتكون الألفاظ سهلة سلسة فلا تنحصر الأصوات عند النطق بها فيصدقه المدعوين.

والموعظة:

تدور معاني هذه المادة حول "وعظ: العِظَةُ: الموعظة. وَعَظْتُ الرّجلَ أَعِظُهُ عِظَةً وموعظة: واتَّعَظَ: تقبّل العِظَةَ، وهو تذكيرُك إيّاه الخيرَ ونحوَه ممّا يرقُّ له قلبُهُ"(٢).

وقال الزبيدي:" وَعَظَه {يَعِظُه} وَعْظاً، {وعِظَةً، كعِدَةٍ،} ومَوْعِظَةً: ذَكَّرَهُ مَا يُلَيِّنُ قَلْبَهُ من الثَّوابِ والعِقاب،"(٣)، فبالنظر والتأمل في المعنى اللغوي للموعظة نجد أن الداعية لا بد أن يكون واعظا، والواعظ يذكّر الناس بالخير فيرقق قلوبهم أو بالشر فيلينها فلا يكون الواعظ منفرا بأن يكون شديدا في لهجته، وإنما يكون سلسا سهلا.

أصوات الكلمة القرآنية وإيحاءاتها الدلالية:

إذا نظرنا إلى أصوات مادة (و ع ظ) بمخارجها وصفاتها لوجدنا تلائما وتناسبا بين الأصوات ودلالتها حيث إن كمة (وعظ) تبدأ بحرف الواو الذي

(١) دراسات صوتية في التجويد والأصوات ٨٣.
(٢) كتاب العين(و ع ظ)٢٢٨/٢، وينظر تهذيب اللغة(و ع ظ)٩٣/٣.
(٣) تاج العروس (و ع ظ)٢٨٩/٢٠.

يخرج" "مما بين الشفتين، وحرف العين الذي يخرج من أوسط الحلق، وحرف الظاء الذي يخرج مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا"[١] فكأن الموعظة تأتي عن طريق القول؛ لأنها تلطف من غير تعنيف، وهذا يتناسب مع مخرج الواو، ثم عن طريق القلب، وهذا يتناسب مع مخرج العين ثم ينطق اللسان بالاثنين معا، وذلك يتناسب مع مخرج الظاء، وفي هذا المعنى قالَ – صلى الله عليه وسلم –: " إِنَّا مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ كَذَلِكَ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ بِقَدْرِ عُقُولِهِمْ"[٢]، فهذا يتناسب مع المعنى التفسيري بأنها:" الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"[٣] .

ولعل ما يؤكد تشبيهنا هو صفة الجهر المتمثلة في الحروف الثلاثة (الواو، والعين، والظاء)، والتي عرفها القدماء بأنه: " حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عيه، ويجري الصوت"[٤]، فكل ذلك متمثل في الموعظة فلا تأتي الموعظة من الداعي إلا بعد أن تكون استوت على عودها بالاطلاع والقراءة الكثيرة والترفق في قولها، فتخرج منه الموعظة سهلة سلسة .

وقيدت الموعظة بالحسنة إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَوْعِظَةٍ حَسَنَةً[٥]، وهذه الموعظة تكون لعوام الأمة[٦] .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) من حديث خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي (ت: ٣٤٣هـ)١/٧٥، تح: د.عمر عبد السلام تدمري– دار الكتاب العربي – لبنان (١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م)

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(المسمى تفسير السعدي) لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (ت١٣٧٦هـ)١/٤٢٥، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة– ط١(١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م).

(٤) الكتاب ٤/٤٣٤، وينظر دراسات صوتية ٨٠.

(٥) مدارج السالكين ١/٤٤٤.

(٦) ينظر تفسير البيضاوي٣/٢٤٥.

ضلَّ:

تدور معاني هذه المادة حول:" ضَلَّ يَضِلُّ اذا ضاعَ، يقال: ضَلَّ يَضِلُّ ويضل،... وتقول: ضَلَلْتُ مكاني إذا لم تهتَدِ له: وضلَّ اذا جارَ عن القَصْد"(١).

ويقول الفيومي:" ضَلَّ الرَّجُلُ الطَّرِيقَ وَضَلَّ عَنْهُ يَضِلُّ مِنْ بَابِ ضَرَبَ ضَلَالًا وَضَلَالَةً زَلَّ عَنْهُ فَلَمْ يَهْتَدِ إلَيْهِ فَهُوَ ضَالٌّ" (٢).

فبالنظر والتأمل في المعنى اللغوي نجد أنها تدل على الضياع، وعدم الاهتداء سواء أكان حسيا بضياع المكان أم معنويا بأن لم يهتد الطريق المستقيم فيحيد عن جادة الصواب.

أصوات الكلمة القرآنية وإيحاءاتها الدلالية:

إذا نظرنا إلى هذه اللفظة بمخارجها وصفاتها لوجدنا تناسقا عجيا بين الأصوات ومدلولاتها حيث إن لفظ (ض ل) يتكون من الضاد التي تخرج من" " بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ومن اللام التي تخرج من حافة اللسان"(٣) فكلاهما يخرجان من الحافة، وهذا يدل على أن الضال ضعيف في نفسه؛ لأنه لا يستطيع الدخول في الإسلام كما أن حروفه في بداية العضو المنطوق به وهو اللسان، ويزيدنا تأكيدا على هذا التشبيه صفة الاستطالة الموجودة في حرف الضاد، وكأن الضال تمادى في ضلاله وغيه ولم يُسلِم، وأيضا صفة الانحراف الموجودة في اللام، فكأن الضال انحرف أيضا عن جادة الصواب، وعاند واستكبر بعد أن دعاه الداعي بالحكمة والموعظة الحسنة، وهو كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ (القصص: ٥٦).

---

(١) ينظر كتاب العين(ض ل ل)٨/٧.
(٢) المصباح المنير(ض ل ل)٣٦٣/٢.
(٣) الكتاب٤٣٣/٤

المطلب الثاني: الوحدات الصرفية (المورفيمات) ودلالتها:

ادع:

أُتِيَ بفعل الأمر من دعا لما فيه من طلب الدوام على الدعوة إلى الله– سبحانه وتعالى– إذ إن " مُخَاطَبَةُ اللَّهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الأَمْرِ فِي حِينِ أَنَّهُ دَاعٍ إِلَى الإِسْلَامِ وَمُوَافِقٌ لأُصُولِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ صِيغَةَ الأَمْرِ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي طَلَبِ الدَّوَامِ عَلَى الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ مَعَ مَا انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْهِدَايَةِ إِلَى طَرَائِقِ الدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ"(١) .

الحسنة:

صفة للحكمة " و وَصْفُهَا بِالْحُسْنِ تَحْرِيضٌ عَلَى أَنْ تَكُونَ لَيِّنَةً مَقْبُولَةً عِنْدَ النَّاسِ، أَيْ حَسَنَةً فِي جِنْسِهَا، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ الأَجْنَاسُ بِتَفَاضُلِ الصِّفَاتِ الْمَقْصُودَةِ مِنْهَا." (٢)، "وَقُيِّدَتِ الْمَوْعِظَةُ بِالْحَسَنَةِ وَلَمْ تُقَيَّدِ الْحِكْمَةُ بِمِثْلِ ذَلِكَ لأَنَّ الْمَوْعِظَةَ لَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْهَا غَالِبًا رَدْعَ نَفْسِ الْمَوْعُوظِ عَنْ أَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ أَوْ عَنْ تَوَقُّعِ ذَلِكَ مِنْهُ، كَانَتْ مَظِنَّةً لِصُدُورِ غِلْظَةٍ مِنَ الْوَاعِظِ وَلِحُصُولِ انْكِسَارٍ فِي نَفْسِ الْمَوْعُوظِ، أرشد اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يَتَوَخَّى فِي الْمَوْعِظَةِ أَنْ تَكُونَ حَسَنَةً، أَيْ بِإِلَانَةِ الْقَوْلِ وَتَرْغِيبِ الْمَوْعُوظِ فِي الْخَيْرِ، قَالَ تَعَالَى خِطَابًا لِمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [سُورَة طه: ٤٣]، وَفِي حَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ أَنَّهُ قَالَ: "وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ." (٣) (٤).

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/٣٢٥.

(٢) السابق ١٤/٣٢٧.

(٣) سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني(٢٧٣ه) ١/١٥ – رقم الحديث٤٢– تح: محمد فؤاد عبدالباقي– –الناشر : دار الفكر – بيروت(د. ت).

(٤) التحرير والتنوير ١٤/٣٢٩.

وجادلهم بالتي هي أحسن:

هذا هو الأسلوب الثالث من أساليب الدعوة بعد الحكمة والموعظة الحسنة، وكان حقها أن تأتي بصيغة المصدر كما في الأساليب السابقة إلا أنه سبحانه وتعالى أتى " بفعلها تَنْبِيها عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ تَقْيِيدُ الْإِذْنِ فِيهَا بِأَنْ تَكُونَ بِالَّتِي هِيَ أحسن، كَمَا قَالَ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (العنكبوت:٤٦)"[١].

ومن لطائف هذه الآية أنه قال:" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فقصر الدعوة على ذكر هذين القسمين لأن الدعوة إذا كانت بالدلائل القطعية فهي الحكمة، وإن كانت بالدلائل الظنية فهي الموعظة الحسنة، أما الجدل فليس من باب الدعوة، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة وهو الإلزام والإقحام فلهذا السبب لم يقل ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن، بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبيها على أنه لا يحصل الدعوة، وإنما الغرض منه شيء آخر"[٢].

أفعل التفضيل (أعلم):

وَالتَّفْضِيلُ فِي قَوْلِهِ: هُوَ أَعْلَمُ " تَفْضِيلٌ عَلَى عِلْمِ غَيْرِهِ بِذَلِكَ. فَإِنَّهُ عِلْمٌ مُتَفَاوِتٌ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْعَالِمِينَ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ، وَفِي هَذَا التَّفْضِيلِ إِيمَاءٌ إِلَى وُجُوبِ طَلَبِ كَمَالِ الْعِلْمِ بِالْهُدَى، وَتَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَغَوْصِ النَّظَرِ فِي ذَلِكَ، وَتَجَنُّبِ التَّسَرُّعِ فِي الْحُكْمِ دُونَ قُوَّةِ ظَنٍّ بِالْحَقِّ، وَالْحَذَرِ مِنْ تَغَلُّبِ تَيَّارَاتِ الْأَهْوَاءِ حَتَّى لَا تَنْعَكِسَ الْحَقَائِقُ وَلَا تَسِيرَ الْعُقُولُ فِي بِنْيَاتِ الطَّرَائِقِ، فَإِنَّ الْحَقَّ بَاقٍ عَلَى الزَّمَانِ وَالْبَاطِلُ تُكَذِّبُهُ الْحُجَّةُ وَالْبُرْهَانُ"[٣].

---

(١) السابق١٤/٣٢٨.

(٢) مفاتيح الغيب٢٠/٢٨٧.

(٣) التحرير ١٤/ ٣٣٤.

بالمهتدين:

جاءت هذه الكلمة بصيغة اسم الفاعل ولم تجيء بالفعلية كمقابلها (بمن ضل)" إشارة إلى أنهم غيّروا الفطرة وبدّلوها بإحداث الضلال ومقابلوهم استمروا عليه وتقديم أرباب الضلال لأن الكلام وارد فيهم." (١) .

ووضّح الألوسي التعبير بالفعل في (ضل)، والتعبير باسم الفاعل في (المهتدين) قائلا: " وإيراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما أنه تغيير لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وإعراض عن الدعوة وذلك أمر عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات" (٢).

ولعل سائلا يسأل أن هناك سياقا لغويا آخر باتحاد الصيغتين في قوله تعالى (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى)

والمراد " بِمَنْ ضَلَّ من أصر على الضلال ولم يرجع إلى الهدى أصلا، وبِمَنِ اهْتَدى من شأنه الاهتداء في الجملة، أي هو جل شأنه المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال أبدا، وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره سبحانه فلا تتعب نفسك في دعوتهم ولا تبالغ في الحرص عليها فإنهم من القبيل الأول" (٣).

---

(١) فتحُ البيان في مقاصد القرآن للقِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)٣٤١/٧، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري- المَكتبة العصريَّة، صَيدَا – بَيروت (١٤١٢هـ – ١٩٩٢ م).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) ٤٩٠/٧، تح: علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية – بيروت- ط١ (١٤١٥ هـ).

(٣) السابق ٦٠/١٤.

المطلب الثالث: الوحدات النحوية (التركيبية) ودلالتها:

في هذا المبحث وحدتان تركيبيتان لكل منها دلالتها، وأثرها على نفوس المدعوين.

الوحدة التركيبية الأولى: (إنشائية، أسلوب أمر):

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)

أسلوب أمر: أمر الله سبحانه وتعالى رسوه بالدعوة إليه سبحانه وتعالى داعيا إى اتباع ملة إبراهيم في الآية السابقة على هذه الآية " فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الآيَةُ تَثْبِيتَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الدَّعْوَةِ وَأَنْ لَا يُؤَيِّسَهُ قَوْلُ الْمُشْرِكِينَ لَهُ ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ﴾ [سُورَة النَّحْل: ١٠١] وَقَوْلُهُمْ: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [سُورَة النَّحْل: ١٠٣] وَأَنْ لَا يَصُدَّهُ عَنِ الدَّعْوَةِ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَهْدِي الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ. ذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَتْرُكُوا حِيلَةً يحسبونها تثبّط النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ دَعْوَتِهِ إِلَّا أَلْقَوْا بِهَا إِلَيْهِ مِنْ: تَصْرِيحٍ بِالتَّكْذِيبِ، وَاسْتِسْخَارٍ، وَتَهْدِيدٍ، وَبَذَاءَةٍ، وَاخْتِلَاقٍ، وَبُهْتَانٍ" (١).

الوحدة التركيبية الثانية (خبرية، الجملة الإسمية):

الجملة الإسمية المؤكدة بإن **(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)**

فالتأكيد بإن والجملة الإسمية، له عظيم الأثر في نفس المدعوين، وحثهم على اتباع دين الله والامتثال لأوامره إذا علم أن الله عالم بمن يضل ومن يهتدي فقيل:" لَمَّا حَثَّ سُبْحَانَهُ عَلَى الدَّعْوَةِ بِالطُّرُقِ الْمَذْكُورَةِ بَيَّنَ أَنَّ الرُّشْدَ وَالْهِدَايَةَ لَيْسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّمَا ذَلِكَ إِلَيْهِ

(١) التحرير والتنوير ١٤/٣٢٥.

تَعَالَى، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ أَيْ: هُوَ الْعَالِمُ بِمَنْ يَضِلُّ وَمَنْ يَهْتَدِي وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ أَيْ: بِمَنْ يُبْصِرُ الْحَقَّ فَيَقْصِدُهُ غَيْرَ مُتَعَنِّتٍ، وَإِنَّمَا شَرَعَ لَكَ الدَّعْوَةَ وَأَمَرَكَ بِهَا قَطْعًا لِلْمَعْذِرَةِ وَتَتْمِيمًا لِلْحُجَّةِ وَإِزَاحَةً لِلشُّبْهَةِ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ غَيْرَ ذَلِكَ" (١).

وهو "تَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ بِالِاسْتِمْرَارِ عَلَى الدَّعْوَةِ بَعْدَ الإِعْلَامِ بِأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ، وَبَعْدَ وَصْفِ أَحْوَالِ تَكْذِيبِهِمْ وَعِنَادِهِمْ" (٢).

تعقيب:

مما سبق يتبين أن الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية في هذه الآية الكريمة تكاملت، وتكاتفت، وتلائمت؛ لتبين لنا حال النبي– صلى اله عليه وسلم– عندما علم بأمر سيدنا حمزة، وما فعله المشركون بجسده – رضي الله عنه–، ونيته – صلى الله عليه وسلم – فيما سيفعله بهم، ولكن الله – سبحانه وتعالى – أمره أن يدعوا إلى دين الله بأسلوبين من أساليب الدعوة، فأمره أولا بالحكمة وهي المرتبة الأولى من أساليب الدعوة القائمة على الدلائل القطعية، ثم بالموعظة الحسنة، وهي المرتبة الثانية من أساليب الدعوة القائمة على الدلائل الظنية، وهذه الأساليب مقرونة بالترغيب، والترهيب، وليس ذلك لضعف النبي – صلى الله عليه وسلم–، وإنما لعظم قوته فلا يفهم حال المدعوين ويخاطبهم بما يصلح لهم إلا إذا كان متقنا للأمور فاهما لها، وهذا مما له أعظم الأثر في نفوس المدعوين ثم ختمت الآية بخطاب للنبي – وللدعاة من بعده بأن عليه البلاغ والدعوة، – فالله تعالى يقول: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ (المائدة :٩٩) –، " وأما حصول الهداية والضلال

---

(١) فتح القدير للشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ) ٢٤٢،٢٤٣/٣.– دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١(١٤١٤ هـ).

(٢) التحرير ٣٢٣/١٤.

والمجازاة عليهما فلا إليك بل الله أعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم"[١]، وهو كقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِی مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِی مَن يَشَآءُۚ ﴾ (القصص: ٥٦).

(١) تفسير البيضاوي٣/٢٤٥.

المبحث الرابع

مقابلة الإساءة بالإحسان، والصبر على المسيء

﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون ٩٦)

أولا: سبب نزول الآية:

أوضح ما قيل في ذلك أن هذه الآية نزلت :" في النبي- صلى الله عليه وسلم- وأبى جهل- لعنه الله- حين جهل عَلَى النَّبِيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم"(١).

ثانيًا: معنى الآية الكريمة :

يقول الواحدي:" يعني بالأحسن، الإعراض والصفح، والسيئة أذى المشركين إياه، وهذا قبل الأمر بالقتال، {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} بما يكذبون ويقولون من الشرك، أي: إنا نجازيهم بما يستحقون"(٢).

ثالثًا: مناسبة الآية الكريمة للمقصد العام للسورة:

ورد في مصاعد النظر للبقاعي أن مقصود سورة المؤمنون " اختصاص المؤمنين بالفلاح، واسمها واضح الدلالة على ذلك"(٣) فلما كان مقصد السورة الكريمة هو الفلاح الخاص بالمؤمنين ناسب ذلك أمر النبي (صلى الله عليه

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (ت:١٢٥٠ه)١٦٥/٣، تح: أحمد فريد٤٢٨/١: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت–ط١(١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن الواحدي، (ت: ٤٦٨هـ)٢٩٧/٣، تح، تع: مجموعة من الباحثين– قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ (١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م).

(٣) مصاعد النظر للبقاعي ٣٠٣/٢.

وسلم) بالقاعدة الربانية في الأخلاق الاجتماعية أنه ليس المعاملة بالمثل أبدا، وفي ذلك من الفلاح ما لا يخفى .

رابعًا: تأثير الوحدات اللغوية، وأثرها على المتلقي:

المطلب الأول: الوحدات الصوتية ودلالتها:

ادفع:

تدور هذه المادة حول المعاني الآتية :" دفع: دَفَعْتُ عنه كذا وكذا دفعاً ومدفعاً، أي: مَنَعْتُ." (١)، وأصّل لهذا المعنى ابن فارس قائلا: " الدَّالُ وَالْفَاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مَشْهُورٌ، يَدُلُّ عَلَى تَنْحِيَةِ الشَّيْءِ. يُقَالُ دَفَعْتُ الشَّيْءَ أَدْفَعُهُ دَفْعًا." (٢)، ويقول الفيومي:" وَدَفَعْتُ الْقَوْلَ رَدَدْتُهُ بِالْحُجَّةِ."(٣).

فبالنظر والتأمل في معنى الدفع نجد أنها تحتوي على معنًى حسيا ومعنويا، فالحسي هو المنع كما قال الخليل أو التنحي كما قال ابن فارس، والمعنوي هو الرد بالحجة والدليل كما قال الفيومي.

أصوات الكلمة القرآنية وإيحاءاتها الدلالية:

إذا نظرنا إلى هذه اللفظة بمخارجها وصفاتها لوجدنا تناسقا عجيا بين الأصوات ومدلولاتها حيث إن لفظ (دفع) يتكون من الدال التي تخرج " مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، ومن الفاء التي تخرج من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى ، ومن العين التي تخرج من " أوسط الحلق"(٤)، وكأن حرف الدال اللساني يمثل بداية المنع، ثم جيء بحرف الفاء الشفوي؛ ليمثل الجانب المعنوي، وهو الرد بالحجة والقول فإنه أقرب إلى الحق، ثم

---

(١) كتاب العين(د ف ع)٢/٤٥.
(٢) مقاييس اللغة(د ف ع)٢/٢٨٨.
(٣) المصباح المنير (د ف ع)١/١٩٦.
(٤) الكتاب ٤/٤٣٣.

ختم بحرف العين الحلقي؛ ليمثل نهاية الاندفاع، وهو المنع الحسي، فيمنع إساءتهم بإحسانه وهو بالسلام عليهم كما قال أحد المفسرين(١)، ويدلنا على هذا التشبيه وهو بداية المنع الشدة التي في الدال ، ويؤكد تشبيه المنع بالقول أو الفعل وسطية العين بين الشدة والرخاوة، ويمثلها وسطية النبي (صلى الله عليه وسلم) في التعامل " فعن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: " أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي القُرْآنِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ (الأحزاب: ٤٥)، قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا "(٢).

ويعلق أحد المفسرين على ذلك فيقول: " هذا من مكارم الأخلاق، التي أمر الله رسوله بها فقال: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ} أي: إذا أساء إليك أعداؤك، بالقول والفعل، فلا تقابلهم بالإساءة، مع أنه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته، ولكن ادفع إساءتهم إليك بالإحسان منك إليهم، فإن ذلك فضل منك على المسيء، ومن مصالح ذلك، أنه تخف الإساءة عنك، في الحال، وفي المستقبل، وأنه أدعى لجلب المسيء إلى الحق، وأقرب إلى ندمه وأسفه، ورجوعه بالتوبة عما فعل، وليتصف العافي بصفة الإحسان، ويقهر بذلك عدوه الشيطان، وليستوجب الثواب من الرب، قال تعالى: ﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري[ت٣١٠ هـ]٦٨/١٩، تح: أحمد محمد شاكر– مؤسسة الرسالة– ط١(١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م)، وينظر زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن الجوزي (ت٥٩٧هـ) ٢٠٧/٣– المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣ (١٤٠٤هـ).

(٢) صحيح البخاري ١٣٥/٦– رقم الحديث٤٨٣٨.

فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (الشورى: ٤٠)، وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ أي ما يوفق لهذا الخلق الجميل ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت: ٣٤-٣٥)"[١].

المطلب الثاني: الوحدات الصرفية (المورفيمات) ودلالتها:

أحسن:

أولا: الهمزة في هذه الكلمة تصح أن تكون للمبالغة وألا تكون، وتوضيح ذلك: "الهمزة في «أَحْسَنُ» يجوز ألا تكون للمبالغة ويكون المعنى ادفع بالحسن السيئة. أو أن تكون للمبالغة فتكون المكافأة جائزة والعفو عنها- في الحسن- أشدّ مبالغة"[٢].

وفي هذه المبالغة: " عدول عن مقتضى السياق لسرّ بليغ فالظاهر أن يقول ادفع بالحسنة السيئة ولكنه عدل عن مقتضى الكلام لما فيه من التفصيل، والمعنى: ادفع السيئة بما أمكن من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة، ...، ويجوز أن يراد وجه آخر وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التي تدفع بها السيئة فإنها قد تدفع بالصفح والإغضاء ويقنع في دفعها بذلك وقد يزاد على الصفح الإكرام وقد تبلغ غايته ببذل الاستطاعة فهذه الأنواع من الدفع كلها دفع بحسنة ولكن أحسن هذه الحسنات في الدفع هي الأخيرة لاشتمالها على عدد من الحسنات، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن الحسنات في دفع السيئة وعندئذ تجري المفاضلة على حقيقتها من غير تأويل"[٣].

---

(١) تفسير السعدي١/٥٥٨.

(٢) لطائف الإشارات٢/٥٨٧-٥٨٨.

(٣) إعراب القرآن و بيانه٦/٥٤٢.

وفي تخلق النفس البشرية وبالأخص الدعاة إلى الله بهذا الخلق الكريم وهو دفع الإساءة بالإحسان أثر عظيم في نفوس المدعوين يقول ابن عاشور: "والتخلق بهذه الآية هو أن المؤمن الكامل ينبغي له أن يفوض أمر المعتدين عليه إلى الله فهو يتولى الانتصار لمن توكل عليه وأنه إن قابل السيئة بالحسنة كان انتصار الله أشفى لصدره وأرسخ في نصره، وماذا تبلغ قدرة المخلوق تجاه قدرة الخالق، وهو الذي هزم الأحزاب بلا جيوش ولا فيالق"(١).

المطلب الثالث: الوحدات النحوية (التركيبية) ودلالتها:

في هذا المبحث وحدتان تركيبيتان لكل منها دلالتها، وأثرها على نفوس المدعوين .

الوحدة التركيبية الأولى (إنشائية: أسلوب أمر):

(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ)

في هذه الجملة أمر الله –عز وجل – نبيه (صلى الله عليه وسلم) بدفع الأذى من المشركين ومنهم أبو جهل " بالحلم مقابل الجهل، وبالكلام الحسن الكلام القبيح، ويقال: ادفع بقول لا إله إلا الله الشرك من أهل مكة" (٢).

ففي هذا التعبير من كظم الغيظ، والصفح عما يكره ما يؤثر في نفوس المدعوين "ومن هنا، كانت دعوة النبي إلى لقاء إساءات قومه بالإحسان دعوة تلتقى مع مشاعره، التي استروحت أنسام الرضاء في ظل هذا الموعد الكريم بالنصر المبين لدعوته، وطلوع شمسها على كل أفق.. فإن كل صعب يهون، وكل بلاء محتمل، إذا كانت العاقبة نجاحا، ونصرا محققا"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير١٨/١٢٠.

(٢) بحر العلوم ــ لأبى الليث السمرقندي (ت٣٧٣ه)٢/٤٩٨،تح :د/محمود مطرجى– دار الفكر – بيروت.

(٣) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ) ٩/١١٧٤–١١٧٥ – دار الفكر العربي – القاهرة.

- الوحدة التركيبية الثانية(وحدة تركيبية خبرية)

(نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ)

جملة خبرية أفادت الثبوت والدوام على أن الله – سبحانه وتعالى عالم بظواهر الأمور وبما يجول في الصدور، وفي هذا التعبير دلالة نفسية لها عظيم الأثر في نفس الداعي الأول إلى الله – عز وجل إذ فيها تطمين للرسول – صلى الله عليه وسلم – بأن له " النصر على هؤلاء المتطاولين عليه، المعاندين له، فإن ذلك يهوّن كثيرا من الأذى الذي يلقاه منهم، حيث يكون بصره متعلقا بيوم النصر الموعود، غير ملتفت إلى ما يصادفه على يومه من مشقّة وعناء."(١)؛ لأن الله – سبحانه وتعالى – أعلم: "بما يقولون من الأقوال المتضمنة للكفر والتكذيب بالحق قد أحاط علمنا بذلك وقد حلمنا عنهم وأمهلناهم وصبرنا عليهم والحق لنا وتكذيبهم لنا فأنت – يا محمد– ينبغي لك أن تصبر على ما يقولون وتقابلهم بالإحسان هذه وظيفة العبد في مقابلة المسيء من البشر"(٢).

تعقيب:

في هذا الخطاب القرآني أمر الله سبحانه وتعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) بدفع الإساءة بالإحسان والصفح عما يكره، وهذه هي القاعدة الربانية في الأخلاق الاجتماعية وهي عدم المعاملة بالمثل، وهو خلق عظيم من أخلاق الأنبياء، وللدعاة من بعدهم، وهذا الحكم باق لم ينسخه شيء طالما أنه سيؤتي ثماره ولو بعد حين من غير موادعة أو مسالمة تؤدي إلى تمادي المسيئين إلى دين الله أو الاستهزاء برسوله، وقد أكد ذلك المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية، فعلى مستوى الأصوات وجدنا أنه تكاتفت الأصوات

(١) التفسير القرآني للقرآن٩/١١٧٤-١١٧٥.
(٢) تفسير السعدي١/٥٥٨.

بمخارجها وصفاتها؛ لتوضح لنا دلالة هذا الدفع، وعلى المستوى الصرفي وجدنا أنه تنوعت الوحدات الصرفية لتتناسب مع هذا الحدث وهو دفع السيئة بالحسنة، فاستعمل على سبيل المثال أفعل التفضيل لما تشتمل عليه من المبالغة المتناسبة مع السياق القرآني، وتقدم الجار والمجرور(بما) على المفعول للاهتمام بأمر المشركين وما يقولونه، وعلى المستوى التركيبي نجد أن الوحدات التركيبية فيها تنوعت بين الأساليب الخبرية والإنشائية سواء أكانت أساليب ترغيب أم ترهيب؛ لما لذلك من أثر في نفوس المدعوين بكظم غيظهم، والصفح عما يكرههم.

المبحث الخامس

خفض الجناح والتواضع للمؤمنين

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الحجر:٨٨)

﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (الشعراء :٢١٥)

أولاً: سبب نزول الآية:

ففي الآية الأولى أوضح ما قيل فيها : " أَن رَسُول الله أَتَاهُ ضيف فَلم يَك عِنْده مَا يقدمهُ إِلَيْهِ؛ فَبعث إِلَى يَهُودِيّ يستقرض مِنْهُ طَعَاما إِلَى هِلَال رَجَب، فَقَالَ الْيَهُودِيّ: وَالله لَا أعطينه إِلَّا برهن، فَقَالَ رَسُول الله: أَنا أَمِين الله فِي السَّمَاء وَالْأَرْض، ولَو بَاعَنِي أَو أَسْلفنِي لقضيته ثمَّ بعْت بدرعه فرهنها مِنْهُ؛ فَأنْزل الله تَعَالَى: {لَا تَمُدَّن عَيْنَيْك إِلَى مَا متعنَا بِهِ}"(١).

وفي الآية الثانية " أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال : لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) بدأ بأهل بيته وفصيلته فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)"(٢).

ثانيًا: معنى الآية الكريمة :

ففي الآية الأولى:

يقول النسفي: " أي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له {إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ} أصنافاً من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعني قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة وهي

(١) تفسير القرآن للسمعاني (ت: ٤٨٩هـ)١٥٢/٣، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم- دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١(١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).
(٢) لباب النقول ١٦٤/١.

القرآن العظيم فعليك أن تستغني به ولا تمدن عينيك إلى متاع الدنيا {وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} أي لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الإسلام والمسلمون {واخفض جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وطب نفساً عن إيمان الأغنياء." (١)

وفي الآية الثانية:

يقول القشيري:" ألن جانبك وقاربهم في الصحبة، واسحب ذيل التجاوز على ما يبدر منهم من التقصير، واحتمل منهم سوء الأحوال، وعاشرهم بجميل الأخلاق، وتحمّل عنهم كلّهم، وارحمهم كلّهم، فإن مرضوا فعدهم، وإن حرموك فأعطهم، وإن ظلموك فتجاوز عنهم، وإن قصّروا في حقى فاعف عنهم، واشفع لهم، واستغفر لهم "(٢)

ثالثًا: مناسبة الآية الكريمة للمقصد العام للسورة:

ففي **الآية الأولى:** ورد في مصاعد النظر للبقاعي أن مقصود سورة: الحجر هو "وصف الكتاب بأنه في الذروة من الجمع للمعاني الموضحة للحق من غير اختلاف أصلًا." (٣)

وفي الآية الثانية: ورد أيضا في مصاعد النظر أن مقصود سورة الشعراء: "أن هذا الكتاب بين في نفسه بإعجازه أنه من عند الله مبين لكل ملتبس"(٤).

---

(١) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات النسفي (ت: ٧١٠هـ) ١٩٨/٢-١٩٩، تخ: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو- دار الكلم الطيب، بيروت، ط١ (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

(٢) لطائف الإشارات٣/٢٠.

(٣) مصاعد النظر للبقاعي ٢٠٣/٢.

(٤) السابق٣٢٦/٢.

فلما كان مقصد السورتان الكريمتان هو الغاية في جمع المعاني التي تشتمل عليه الكتاب المعجز، وأنه من عند الله ناسب هذان المقصد هاتان الآيتان الكريمتان التي تحثان النبي (صلى الله عليه وسلم) على عدم النظر للغير فيما آتاه الله من متاع الدنيا، وعدم الحزن عليهم في عدم اتباعهم لك، ولكن ألن لهم جانبك وارفق لهم، ولا تغلظ عليهم وكل ذلك فيه من المعاني ما يشتمل عليه القرآن الكريم.

رابعًا: تأثير الوحدات اللغوية، وأثرها على المتلقي

المطلب الأول: الوحدات الصوتية ودلالتها:

تمدن:

تدور معاني هذه المادة حول : (مَدَّهُ) فَامْتَدَّ مِنْ بَابِ رَدَّ. يُقَالُ: قَدْرُ (مَدِّ) الْبَصَرِ أَيْ مَدَى الْبَصَرِ"[١]:

"والمَدُّ: طُموحُ البَصَرِ إِلى الشي ءِ، يقال: مدَّ بصرَه إِلى الشي ءِ، إِذا طَمَح به إِليه. وفي البصائر والأَفعالِ: مَدَدْت عَيني إِلى كذا: نَظَرْتُه رَاغِباً فيه، ومنه قولُه تعالَى ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ"[٢] .

فبالنظر والتأمل في معنى مد العين نجد أنها تدل على اشتهاء الشيء، والرغبة فيه.

أصوات الكلمة القرآنية وإيحاءاتها الدلالية:

إذا نظرنا إلى هذه اللفظة بمخارجها وصفاتها لوجدنا تناسقا عجيا بين الأصوات ومدلولاتها حيث إن لفظ (مدّ) يتكون من الميم التي تخرج " مما بين الشفتين، والدال التي تخرج مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا"[٣] ، وكأن

(١) مختار الصحاح (م د د)٢٩٢/١.
(٢) تاج العروس (م د د)٢٤٦/٥.
(٣) الكتاب٤٣٣/٤.

حرف الميم الشفوي يدل على بداية اشتهاء الشيء، ثم يأتي حرف الدال ليبين الإمعان في الشيء، وإدامة النظر فيه.

ويدلنا على هذا التشبيه صفة الجهر الموجودة في كلا الحرفين (الميم والدال) "حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه، ويجري الصوت." (١) . وعن هذا المعنى يقول الشيخ الشعراوي كلاما لطيفا : "والمراد بمَدِّ العين ليس إخراج حبة العين ومدِّها؛ ولكن المراد إدامة النظر والإمعان، ولكن الحق سبحانه عبَّر في القرآن هذا التعبير، وكأن الإنسان سيخرج حبَّة عينه ليجري بها، وليُمعِن النظر، وهذا ما يفهم من منطوق الآية، والمنطوق يشير إلى المفهوم المراد، وهذا عين الإعجاز" (٢).

واخفض:

تدور معاني هذه المادة حول: "الخَفْضُ: نَقيضُ الرفع. وعيش خَفْضٌ: ذو دعةٍ وخِصْب، وخفضت الشيء فانخفض واختفض"(٣).

ويقول الجوهري: "(الْخَفْضُ) الدَّعَةُ، يُقَالُ: عَيْشٌ (خَافِضٌ) وَهُمْ فِي خَفْضٍ مِنَ الْعَيْشِ. وَ(خَفَضَ) الصَّوْتَ غَضَّهُ وَبَابُهُ ضَرَبَ، يُقَالُ: خَفِّضْ عَلَيْكَ الْقَوْلَ وَخَفِّضْ عَلَيْكَ الْأَمْرَ أَيْ هَوِّنْ"(٤).

فبالنظر والتأمل في معنى الخفض نجد أن لها معنى حسيا، ومعنويا، فالمعنوي يتحقق في إلانة القول كما قال الجوهري، والحسي نراه في التعامل بالرفق واللين.

---

(١) السابق نفسه.

(٢) تفسير الشعراوي – الخواطر للشيخ الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ) ٧٧٦٥/١٣، مطابع أخبار اليوم، (١٩٩٧ م).

(٣) العين(خ ف ض)١٧٨/٤.

(٤) مختار الصحاح(خ ف ض) ٩٣/١..

أصوات الكلمة القرآنية وإيحاءاتها الدلالية:

إذا نظرنا إلى هذه اللفظة بمخارجها وصفاتها لوجدنا تناسقا عجيا بين الأصوات ومدلولاتها حيث إن لفظ (خفض) يتكون من الخاء التي تخرج من "أدنى الحلق مخرجاً من الفم، ومن الفاء التي تخرج من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى، ومن الضاد التي تخرج من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس"(١).

وكأن حرف الخاء الذي يخرج من أول المخارج وهو الحلق يمثل بداية الرفق، ثم يأتي حرف الفاء؛ ليوضح لنا المعنى المعنوي، وهو إلانة القول، فكأنه بخروجه من باطن الشفة يبين كيف يخفض النبي (صلى الله عليه وسلم) صوته معهم، ثم يأتي حرف الضاد الحافّي؛ ليبين أنه يلين جانبه مرة بالقول، ومرة بالفعل، ويدل على هذا التشبيه قول علماء التجويد بأن حرف الضاد يخرج من " الجهة اليمنى ومن الجهة اليسرى"(٢)، ويؤكد لنا هذا التشبيه صفة الرخاوة – التي يجري فيها الصوت – المتمثلة في حروف الكلمة جميعا (الخاء، والفاء، والضاد)، فكأن النبي (صلى الله عليه وسلم)عندما يخفض جناحه لأتباعه، ويلين جانبه، ويتواضع، ويرق لهم يسهِّل التعامل بينه وبينهم والله أعلم.

ويدل على هذا أيضا قول الرازي: "وخفض الجناح كناية عن اللين والرفق والتواضع"(٣).

---

(١) ينظر الكتاب٤/٤٣٣.

(٢) الدر النثير والعذب النمير= شرح كتاب التيسير للداني في القراءات لأبي محمد المالقي (ت:٧٠٥هـ)، ١٧/٢، تح: عادل أحمد عبد الموجو، وعلى محمد معوض – دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ،(١٤٢٤هـ).

(٣) مفاتيح الغيب١٩/١٦١-١٦٢.

المطلب الثاني: الوحدات الصرفية (المورفيمات) ودلالتها:

أزواجًا

في التعبير بكلمة أزواجًا دون أفرادًا "إشارة إلى كثرة من أنعم الله عليهم، وابتلاهم بهذه النعم من المشركين.. فالأزواج كثرة، والأفراد قلة ثم إن التزاوج في ذاته نعمة من نعم الله، كما يقول سبحانه مذكّرا بهذه النعمة: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ (النبأ:٨)[١]، ولـــ "أن حالتهم أتم أحوال التمتع لاستكمالها جميع اللذات والأنس"[٢].

منهم:

ففي التعبير بضمير الغائب (هم) في شأن الكفار مع أنهم حاضرين "تهوينا لشأنهم، وإضرابا عن ذكرهم، فهم غائبون وإن كانوا حاضرين"[٣].

صيغة افتعل:

اتبعك في قوله تعالى (لمن اتبعك من المؤمنين) يقول الجوهري: " (تَبِعَهُ) مِنْ بَابِ طَرِبَ وَسَلِمَ إِذَا مَشَى خَلْفَهُ أَوْ مَرَّ بِهِ فَمَضَى مَعَهُ وَكَذَا (اتَّبَعَهُ) وَهُوَ افْتَعَلَ"[٤] تبِعَ الشَّيْء تَبَعًا وتَباعا واتَّبَعَهُ وأَتْبَعَهُ وتَتَبَّعَهُ: قَفاهُ. قَالَ سِيبَوَيْهِ: تَتَبَّعَه اتِّباعا، لأَن تَتَبَّعْتُ فِي اتَّبَعْتُ،...، واتَّبَعَ الْقُرْآن: ائتم بِهِ وَعمل بِمَا فِيهِ"[٥].

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ٢٦٢/٧.

(٢) التحرير والتنوير ٨٢/١٤.

(٣) التفسير القرآني للقرآن ٢٦٢/٧.

(٤) مختار الصحاح(ت ب ع) ٤٤/١، وينظر جمهرة اللغة لا بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـــ)(ت ب ع)، تح: رمزي منير بعلبكي– دار العلم للملايين – بيروت، ط١ (١٩٨٧م).

(٥) المحكم والمحيط الأعظم(ت ب ع)٥٦/٢.

وقال بعض المفسرين:" فلم قال لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ جوابه لا نسلم أن المتبعين للرسول هم المؤمنون فإن كثيراً منهم كانوا يتبعونه للقرابة والنسب لا للدين." (١).

فالتعبير بصيغة الافتعال هنا للدلالة على إلانة الجانب وخفض الجناح لمن اتبع النبي (صلى الله عليه وسلم) لأجل القرابة والنسب أو لأجل الدين، وهو مما يؤثر في نفوس المدعوين.

المطلب الثاني: الوحدات النحوية (التركيبية) ودلالتها:

في هذا المبحث ثلاث وحدات تركيبية لكل منها دلالاتها، وأثرها على نفوس المدعوين.

الوحدة التركيبية الأولى (إنشائية: أسلوب نهي):

أسلوب النهي في قوله تعالى: "لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم" " نهاه عن الرغبة في الدنيا فحظر عليه أن يمد عينيه إليها رغبة فيها وفي مد العين أقوال.

القول الأول: كأنه قيل له إنك أوتيت القرآن العظيم فلا تشغل سرك وخاطرك بالالتفات إلى الدنيا ومنه الحديث "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ"(٢)، **وأما القول الثاني:** ... أي لا تتمن ما فضلنا به أحد من متاع الدنيا، **وأما القول الثالث** :...أي لا تحسدن أحدا على ما أوتي من الدنيا قال القاضي هذا بعيد لأن الحسد من كل أحد قبيح لأنه إرادة لزوال نعم الغير عنه وذلك يجري مجرى الاعتراض على الله تعالى والاستقباح لحكمه وقضائه وذلك من كل أحد قبيح فكيف يحسن تخصيص الرسول (صلى الله عليه وسلم) به"(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب١٤٨/٢٤.

(٢) صحيح البخاري ١٥٤/٩- رقم الحديث ٧٥٢٧..

(٣) مفاتيح الغيب١٦٧/١٩.

الوحدة التركيبية الثانية (إنشائية: أسلوب نهي):

أسلوب النهي في قوله تعالى: (ولا تحزن عليهم).

أي بعد أن نهى الله سبحانه وتعالى نبيه عن النظر إلى زخارف الدنيا التي أوتيت للمشركين نهاه أن يحزن عليهم **أي** " ولا تحزن على المشركين إن لم يؤمنوا. وقيل: المعنى لا تحزن على ما متعوا به في الدنيا فلك في الآخرة أفضل منه. وقيل: لا تحزن عليهم إن صاروا إلى العذاب فهم أهل العذاب"(١).

الوحدة التركيبية الثالثة: (إنشائية: أسلوب أمر):

أسلوب الأمر في قوله تعالى:(واخفض جناحك للمؤمنين) (ولمن اتبعك من المؤمنين)، والمقصود " أنه تعالى لما نهاه عن الالتفات إلى أولئك الأغنياء من الكفار أمره بالتواضع لفقراء المسلمين، ونظيره قوله تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] وقال في صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]"(٢)، ففي ذلك دلالة واضحة على سماحة الداعي الأول إلى الله عز وجل، فبعد أن فعل اليهودي ما فعله مع الرسول صلى الله عليه وسلم كان الأولى به أن يثأر لنفسه، وأن يتعالى على المؤمنين الضعفاء، ولكن الله عز وجل أمره بإلانة الجانب وخفض الجناح للمؤمنين، وزاد في سور ة الشعراء " لِمَنِ اتَّبَعَكَ [الآية: ٢١٥] لأنه قال قبله وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ [الآية: ٢١٤] فلو لم يذكر هذه الزيادة لكان الظاهر أن اللام للعهد فصار الأمر بخفض الجناح مختصا بالأقربين من عشيرته فزيد لِمَنِ اتَّبَعَكَ [الشعراء: ٢١٥] ليعلم أن هذا التشريف شامل لجميع متبعيه من الأمة"(٣).

---

(١) تفسير القرطبي ٥٧/١٠.

(٢) مفاتيح الغيب ١٦٢/١٩

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (ت٨٥٠هـ) ٢٣٤/٤، تح: الشيخ زكريا عميران– ط١: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان (١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م).

ففي هذا التعبير من خفض الجناح، والتواضع، والرفق، واللين ما يؤثر في نفوس المدعوين.

تعقيب:

هاتان هما الآيتان الأخيرتان من آيات الرفق في الدعوة إلى الله – عز وجل –، وقد جاءتا بالأمر لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يخفض الجناح، وأن يتواضع للمؤمنين سواء أكانوا من أقاربه أم من غيرهم، وقد اشتمل هذا المبحث على آيتين، ولكن بعض هاتين الآيتين تكررتا، وهذا يسمى وجها من وجوه الفصاحة وهو التكرير، وقد تكلم عنه أحد أئمة التفسير قائلا:" التَّكْرِيرُ ... أَبْلَغُ مِنَ التَّأْكِيدِ وَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ الْفَصَاحَةِ"(١).

تعقيب عام على المباحث الخمسة الواردة في آيات الرفق في الدعوة إلى الله – عز وجل –

تناسب السياق بين آيات الرفق في الدعوة إلى الله تناسبا محكما، فاشتملت هذه الآيات على أصوات، وصيغ، وتراكيب متنوعة، وهذا مما يؤثر في نفوس المدعوين على اختلاف أحوالهم، – فبدأت الآيات الكريمة بالرحمة واللين في الدعوة إلى الله، فبعد أن خالف الصحابة أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في غزوة أُحد، وتسبب ذلك في هزيمتهم ناسب ذلك أن يتعامل الرسول (صلى الله عليه وسلم) معهم بالغلظة والشدة، ولكن الله سبحانه وتعالى أمره بالرفق واللين، ولم يتوقف الأمر على ذلك بل أمره بالعفو عنهم والاستغفار لهم والمشاورة في الأمر.

– ثم سرد الخطاب القرآني صفات الداعي الأول إلى الله – عز وجل – وهو الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو أنه رسول من بني جلدتكم، ومن بينكم، وكل ما يحصل له من عز وشرف وكرامة فهو عائد إليكم زيادة على أنه اجتمع فيه صفتين لم تجتمع لنبي قبله، وهما الرأفة والرحمة بالمؤمنين .

---

(١) ينظر الإتقان في علوم القرآن ٣/٢٢٤.

- ثم بين في المبحث الثالث أساليب الدعوة إلى سبيل الله فمرة تكون بالمقالة المحكمة، ومرة بالخطابات المقنعة، والعبر النافعة، وكل ذلك مع الطالبين للدعوة أما المعاندين فالمجادلة معهم تكون بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، فإن ذلك أنفع لهم، ثم ختمت الآيات بالحديث عن الضالين والمهتدين.
- ثم جاء المبحث الرابع؛ ليبين أنه من شروط الدعوة إلى الله مقابلة الإساءة بالإحسان، والصبر على المسيء، وهذا خلق عظيم من أخلاق الأنبياء، وللدعاة من بعدهم أن يتسلحوا بهذا الخلق الكريم.
- ثم ختمت هذه الآيات بأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بخفض الجناح وإلانة الجانب للمؤمنين من أتباعه سواء أكانوا أقرباء له في النسب أو الدين، وعلى الدعاة أيضا من بعده (صلى الله عليه وسلم) أن يلينوا الجانب مع المدعوين.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعونه، وتوفيقه، ومدده يختم كل بحث بحقائق ونتائج وتوصيات .

فأما الحقائق:

أن لغة القرآن الكريم لغة معجزة، ومؤثرة في النفس البشرية؛ لأنها تخاطب العقل والعاطفة معا، وهذا سبب إعجازها.

وأما النتائج:

- بيّن البحث أن كل الآيات الواردة في البحث نزلت في حق النبي(صلى الله عليه وسلم)؛ لأنه الداعي الأول إلى الله عز وجل في هذه الأمة المحمدية .
- وضّح البحث أهمية علم اللغة النفسي؛ لأن دراسة اللغة من خلاله لها أثر بالغ في الترابط الدلالي.
- بيّن البحث بعد التأمل في كتاب الله أن أسباب النزول يعد من العوامل التي تساعد على فهم النص القرآني مع ربطه بالحالة النفسية للداعي والمدعوين.
- وضّح البحث أن أكثر الأصوات مشتملة على الحروف المجهورة، وهذا يتناسب مع الجو العام لهذه الآيات وهو الوضوح التام في أمر الله تعالى نبيه بالرفق واللين في الدعوة إليه – سبحانه وتعالى–.
- أكّد البحث أن أسلوب الترغيب أسلوب محبب إلى النفس البشرية، ولا سيما الأسلوب القائم عليه البحث، وهو الرفق واللين في الدعوة إلى الله فقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)
- بين البحث أن أسلوب الدعوة لا بد أن يأتي أولا بالحكمة أي المقالة المحكمة، ثم بعد ذلك بالموعظة وهي الخطابات المقنعة والعبر النافعة.
- وضح البحث تقييد الموعظة بالحسنة، ولم تقيد الحكمة بمثلها؛ وذلك لترغيب الموعوظ في الخير.

- دلل البحث على إيثار صيغة فعيل في وصف الرسول(صلى الله عليه وسلم) بقوله (حريص عليكم)؛ لأنها لا تدل على الحدوث بقدر ما تدل على تأصل الصفة في صاحبها.
- وضّح البحث تنوع الوحدات التركيبية لآيات الرفق ما بين وحدات تركيبية خبرية، ووحدات تركيبية إنشائية، فمن الوحدات التركيبية الخبرية – الجملة الاسمية المؤكدة بإن؛ لما في ذلك من ربط الجملة بما قبلها فلا يكون الكلام بمعزل عن بعضه البعض، كما أنها تحث النفس البشرية على الامتثال لأوامر الله، ومن الوحدات التركيبية الإنشائية (أسلوب الأمر – أسلوب النهي) .
- بين البحث أن أسلوب الأمر الأكثر شيوعا في الأساليب الإنشائية للدلالة على الأمر بالرفق في الدعوة إلى الله، وفي هذا اتباع لمنهج الله الذي ارتضاه لنبيه (صلى الله عليه وسلم)، وللدعاة من بعده.

وأما التوصيات:

فإنني أوصي الباحثين بالمعايشة لكتاب الله؛ لاستخراج أمثال هذه الآيات التي تدعوا إلى الرفق في المعاملة مع المسلمين، ومع غيرهم، والرفق بالنساء، والرفق بالحيوان، ففي ذلك الكتاب المعجز من الذخائر والدرر ما لا ينفد، وأيضا أشّد على يد الدعاة أن يؤهلوا أنفسهم تأهيلا علميا؛ لتطبيق ما سردناه في هذا البحث، وهو الدعوة إلى الله برفق ولين؛ ليكونوا وجهة مشرفة للإسلام والمسلمين.

وبعد، فهذا بحثي أضعه بين أيديكم، فإن كنت قد أحسنت فمن الله، وإن كنت قد أسأت فمن نفسي، ومن الشيطان: والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يُكتب له القبول في الأولين والآخرين، وأن يجعلني من الداعيات إلى الله برفق ولين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

١- أدب الكاتب لابن قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦هـ)، تح: محمد محي الدين عبدالحميد- المكتبة التجارية- مصر- ط٤(١٩٦٣م).

٢- الأدب لابن أبي شيبة (ت:٢٣٥هـ) ،تح: د. محمد رضا القهوجي- دار البشائر الإسلامية – لبنان ،ط١(١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٣- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية – التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، د/ عبدالحميد هنداوي ،المكتبة العصرية- بيروت(٢٠٠٨م=١٤٢٩ه).

٤- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ت:١٣٥٦هـ)- دار الكتاب العربي – بيروت، ط٨(١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م).

٥- إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش (ت: ١٤٠٣هـ)- دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دار ابن كثير- دمشق – بيروت)، ط٤(١٤١٥ه).

٦- الأمثال في الحديث النبوي لأبى محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأَبِي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تح: د. عبد العلي عبد الحميد حامد-الدار السلفية – بومباي – الهند- ط٢(١٤٠٨ - ١٩٨٧م).

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت٦٨٥هـ)،تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي - دار إحياء التراث العربي – بيروت-ط١ (١٤١٨هـ).

٨- بحر العلوم ــ لأبى الليث السمرقندي (ت٣٧٣هـ)، تح :د/محمود مطرجى- دار الفكر – بيروت(د. ت).

٩- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ على محمد معوض، وشارك في التحقيق د. زكريا عبدالمجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل- دار الكتب العلمية – لبنان، ط١(١٤٢٢هـ=٢٠٠١م).

١٠- البحر المديد لابن عجيبة الإدريسي الشاذلي (ت١٢٢٤هـ)، تح: أحمد عبدالله القرشي رسلان -الناشر: د/ حسن عباس زكي – القاهرة- ط (١٤١٩هـ).

١١- التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)- الدار التونسية للنشر – تونس (١٩٨٤ هـ).

١٢- تفسير التستري لأبي محمد سهل بن عبد الله التُستري (ت: ٢٨٣هـ)، جم: أبو بكر محمد البلدي، تح: محمد باسل عيون السود- منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، ط١(١٤٢٣هـ).

١٢- تفسير الشعراوي – الخواطر للشيخ الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم (١٩٩٧م).

١٣- تفسير القرآن للسمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم- دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١(١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).

١٤- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)- دار الفكر العربي – القاهرة.

١٥- تفسير المراغي للإمام المراغي (ت: ١٣٧١هـ)- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر- ط١(١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م).

١٦- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات النسفي (ت: ٧١٠هـ)، تخ: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو- دار الكلم الطيب، بيروت، ط١(١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

١٧- تفسير مقاتل بن سليمان (ت:١٢٥٠هـ)، تح: أحمد فريد١/٤٢٨: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت–ط١(١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م).

١٨- تهذيب اللغة للأزهري (ت٣٧٠هـ)- تح الأستاذ أحمد عبد العليم البردوني- مراجعة الأستاذ على محمد البجاوي- الدار المصرية للتأليف والترجمة (د. ت) ٠

١٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (المسمى تفسير السعدي) لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق : مؤسسة الرسالة- ط١(١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م).

٢٠- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري[ت٣١٠ هـ] تح: أحمد محمد شاكر- مؤسسة الرسالة- ط١(١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م).

٢١- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي للإمام شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة- ط٢ (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م).

٢٢- جمهرة اللغة لا بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تح: رمزي منير بعلبكي- دار العلم للملايين – بيروت، ط١(١٩٨٧م).

٢٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني (ت:٤٣٠هـ) الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر- (١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م).

٢٤- الخطاب القرآني في آيات حب اله للمحسنين دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي د/ فاطمة رجب الباجوري- بحث مستل من مجلة الزهراء- ع ٢٩-.

٢٥- الدر النثير والعذب النمير= شرح كتاب التيسير للداني في القراءات لأبي محمد المالقي (ت: ٧٠٥هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض – دار الكتب العلمية بيروت –ط١(سنـ١٤٢٤ـة هـ).

٢٦- دراسات صوتية في التجويد والأصوات اللغوية في ضوء الدرس اللغوي الحديث أ. د/ عبدالفتاح أبو الفتوح، أ. د/ زينب أحمد أبو النجا- مطبعة الحصري .

٢٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية – بيروت- ط١ (١٤١٥ هـ).

٢٧- زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن الجوزي (ت٥٩٧هـ) - المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣(١٤٠٤هـ).

٢٨- سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني (٢٧٣هـ)- تح: محمد فؤاد عبدالباقي- -الناشر : دار الفكر – بيروت(د. ت).

٢٩- سنن الترمذي لأبي عيسى (ت: ٢٧٩هـ) ،تح: بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي – بيروت، (١٩٩٨ م).

٣٠- سنن الدار قطني لأبي الحسن علي البغدادي الدار قطني (ت: ٣٨٥هـ)، تح، ضبط ،تع: شعيب الأرناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم -مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١(١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م).

٣١- السنن الكبرى للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان-، ط٣ (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).

٣٢- شذا العرف في فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوي – طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية (١٤٣٣هـ=٢٠١٢م) .

٣٣- شرح المفصل للزمخشري المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت٦٤٣هـ)، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١(١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).

٣٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت- ط٤(١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

٣٥- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(ت: ٢٥٦ه)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر- دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١ (١٤٢٢هـ)..

٣٦- العربية وعلم اللغة الحديث د/ محمد محمد داود – دار غريب(٢٠٠١).

٣٧- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي(ت: ٧٧٣ه) ٥٩٧/١، تح: د/ عبدالحميد هنداوي- المكتبة العصرية – بيروت – لبنان،ط١(١٤٢٣ه=٢٠٠٣م).

٣٨- علم اللغة النفسي د/ عبدالعزيز العصيلي – منتدى سور الأزبكية (١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م).

٣٩- علم اللغة النفسي في التراث العربي د/جاسم علي جاسم – مجلة الجامعة الإسلامية –ع١٥٤.

٤٠- علم اللغة بين القديم والحديث د/ عبدالغفار هلال ١١١- ط٤ (١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م).

٤١- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د/ محمود السعران ٢٧٨- دار النهضة العربية.

٤٢- علم النفس اللغوي د/ نوال محمد عطية – المكتبة الأكاديمية، ط٣(١٩٩٥)

٤٣- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تح: الشيخ زكريا عميران- ط١: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م).

٤٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – دار المعرفة – بيروت، (١٣٧٩)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي- قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب – عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٤٥- فتحُ البيان في مقاصد القرآن للقِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري- المَكتبة العصريَّة، صَيدَا – بَيروت (١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م).

٤٦- فتح القدير للشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ)- دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١(١٤١٤ هـ).

٤٧- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تح، تع: محمد إبراهيم سليم- دار العلم والثقافة، القاهرة – مصر.

٤٨- في الصوتيات العربية والغربية د. مصطفى بو عناني، عالم الكتب – الحديث،إربد،الأردن،ط١(٢٠١٠م).

٤٩- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٠هـ)، تح: د/مهدي المخزومي، د/إبراهيم السامرائي- دار ومكتبة الهلال.

٥٠- الكتاب لأبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه (ت١٨٠هـ) تح: أ. عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة، ط٣ (١٤٠٨هـ =١٩٨٨م).

٥١- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش – محمد المصري- مؤسسة الرسالة – بيروت.

٥٢- اللباب لا بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت٨٨٠هـ)، تح: الشيخ عادل عبد الموجود، والشيخ علي معوض- دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان- ط١(١٤١٩هـ=١٩٩٨م).

٥٣- لسان العرب لابن منظور(ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ (١٤١٤هـ).

٥٤- لطائف الإشارات = تفسير القشيري للإمام القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تح: إبراهيم البسيوني–الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر– ط٣.

٥٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لا بن عطية الأندلسي(ت ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد– دار الكتب العلمية – لبنان – ط١(١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٥٦- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده [ت: ٤٥٨هـ]، تح: عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية – بيروت– ط١(١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م).

٥٧- مختار الصحاح للإمام الرازي (ت٦٦٦هـ)– تح: محمود خاطر– مكتبة لبنان ناشرون بيروت– ط ج (١٤١٥=١٩٩٥)٠

٥٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) – دار الكتاب العربي بيروت/ ط٢(١٣٩٣هـ).

٥٩- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن محمد الملا الهروي القاري (ت:١٠١٤هـ) ٢٦١٢/٦– دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١ (١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م).

٦٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل ومذيله بأحكام أبو شعيب الأرناؤوط – مؤسسة قرطبة – القاهرة.

٦١- المسند الصحيح لمسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ) ،تح محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦٢- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي (ت: ٨٥٨ه)– مكتبة المعارف– الرياض، ط١(١٤٠٨هـ=١٩٨٧م).

٦٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس الفيومي (ت:نحو ٧٧٠هـ)– المكتبة العلمية – بيروت.

٦٤- معالم التنزيل لأبى محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦ هـ)، تح، تخ محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش – دار طيبة – ط٤(١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م).

٦٥- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)،تح: عبد الجليل عبده شلبي: عالم الكتب – بيروت- ط١(١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م).

٦٦- معجم اللغة العربية المعاصرة د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت:١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل- عالم الكتب- ط١(١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م).

٦٧- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر-(١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

٦٨- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير للرازي (ت: ٦٠٦هـ)- دار الكتب العلمية – بيروت، ط١(١٤٢١هـ).

٦٩- المفردات في غريب القرآن للعلامة الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت- ط١(١٤١٢ هـ).

٧٠- مقدمة في علم أصوات العربية د. عبدالفتاح البركاوي.

٧١- مقصوصات صرفية ونحوية لثامر إبراهيم المصاروة-، طبعة جديدة ومنقحة (٢٠٠٦/٢٠٠٧ م).

٧٢- من حديث خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي (ت: ٣٤٣هـ)، تح: د. عمر عبد السلام تدمري- دار الكتاب العربي – لبنان (١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م).

٧٣- من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل د/محّمد سَعيد رَمضان البوطي- مؤسسة الرسالة – بيروت (١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م).

٧٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإمام البقاعي(ت٨٨٥هـ)، تح: عبد الرزاق غالب المهدي: دار الكتب العلمية – بيروت (١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م).

٧٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن الواحدي، (ت: ٤٦٨هـ)، تح، تع: مجموعة من الباحثين- قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١(١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م).

محتوى البحث

م	الموضوع
١	ملخص البحث
٢	المقدمة
٣	التمهيد
٤	أولا: بيان معنى الرفق واللين، وافرق بينهما، وأهميتهما
٥	ثانيا: التعريف بعلم اللغة النفسي.
٦	المبحث الأول: الرحمة واللين في الدعوة إلى الله.
٧	المبحث الثاني: الحرص على مصلحة المدعوين، والاهتمام بهم.
٨	المبحث الثالث: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.
٩	المبحث الرابع: مقابلة الإساءة بالإحسان، والصبر على المسيء.
١٠	المبحث الخامس: خفض الجناح والتواضع للمؤمنين.
١١	الخاتمة: وفيها نتائج البحث، والتوصيات
١٢	ثبت المصادر والمراجع.